سلسلة شروح وتطريزات فضيلة الشيخ (٦)

شرح العقيدة الواسطية

تصنيف العلامة
أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية
المتوفى سنة (٧٢٨) رحمه الله تعالى

منقول من الشرح الصوتي لمعالي الشيخ الدكتور
صالح بن عبد الله بن حمد العصيمي
عضو هيئة كبار العلماء والمدرس بالحرمين الشريفين
غفر الله له ولوالديه ولمشايخه وللمسلمين

النسخة الثانية

الكتاب السادس
٦
برنامج مهمات العلم
السنة العاشرة
١٤٤٠

شرح
العقيدة الواسطية

سلسلة شروح وتطريزات فضيلة الشيخ (٦)

شرح
العقيدة الواسطية

تصنيف العلامة

أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية

المتوفى سنة (٧٢٨) رحمه الله تعالى

منقول من الشرح الصوتي لمعالي الشيخ الدكتور

صالح بن عبد الله بن حمد العصيمي

عضو هيئة كبار العلماء والمدرس بالحرمين الشريفين

غفر الله له ولوالديه ولمشايخه وللمسلمين

النسخة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

للإعلام بالأخطاء الطِّباعية والاستدراكات والاقتراحات؛

يُرجىٰ المراسلة علىٰ البريد التالي: Abdellahdj24@gmail.com

الحمد لله الَّذي جَعَل الدِّين مراتبَ ودرجاتٍ، وصَيَّر للعلم به أصولًا ومُهمَّاتٍ، وأشهد أَلَّا إله إِلَّا الله حقًّا، وأشهد أَنَّ محمَّدًا عبده ورسولُه صِدْقًا.

اللَّهمَّ صَلِّ على محمَّدٍ وعلى آل محمَّدٍ كما صَلَّيت على إبراهيمَ وعلى آل إبراهيمَ إِنَّك حميدٌ مجيدٌ، اللَّهمَّ بارك على محمَّدٍ وعلى آل محمَّدٍ كما باركت على إبراهيمَ وعلى آل إبراهيمَ إِنَّك حميدٌ مجيدٌ.

أَمَّا بعد:

فحَدَّثني جماعةٌ من الشُّيوخ - وهو أَوَّل حديثٍ سمعتُه منهم - بإسنادِ كُلٍّ إلى سفيانَ ابن عُيينةَ، عن عمرِو بن دينارٍ، عن أبي قابوس - مولى عبد الله بن عمرٍو -، عن عبد الله ابن عمرو بن العاصي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا أَنَّه قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ؛ ارْحَمُوا مَنْ فِي الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ**».

ومِن آكد الرَّحمة: رحمةُ المُعلِّمين بالمتعلِّمين، في تلقينهم أحكام الدِّين، وتَرقيَتِهم في منازل اليَقين.

ومن طرائق رحمتِهم: إيقافهم على مُهمَّات العلم، بإقراء أصول المُتون، وتَبْيِين مقاصدها الكُلِّيَّة، ومعانيها الإجماليَّة؛ ليستفتحَ بذلك المبتدئون تَلَقِّيَهم، ويجدَ فيه المتوسِّطون ما يُذَكِّرهم، ويَطَّلِع منه المُنتهون إلى تحقيق مسائل العلم.

وهذا شَرْح (**الكتاب السّادس**) من برنامج (**مهمّات العلم**) في (**سنته العاشرة**)، أربعين وأربعمائةٍ وألفٍ، وهو كتاب «اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة»، المعروف شُهرةً بـ«**العقيدة الواسطيّة**»، لشيخ الإسلام أحمدَ بن عبد الحليم بن عبد السَّلام ابن تيميَّة النُّميريِّ - رَحِمَهُٱللَّهُ؛ المُتوفَّى سنة ثمانٍ وعشرين وسبعمائةٍ.

قَال المُصَنِّف رَحِمَهُ اللهُ:

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحَمْدُ للهِ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالهُدَى وَدِينِ الحَقِّ؛ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ، وَكَفَى بِاللهِ شَهِيدًا، وَأَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ؛ إِقْرَارًا بِهِ وَتَوْحِيدًا، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا مَزِيدًا .

اعْتِقَادُ الفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ المَنْصُورَةِ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ: الإِيمَانُ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالبَعْثِ بَعْدَ المَوْتِ، وَالإِيمَانُ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ.

قَال الشَّارِح وفّقه اللهُ:

ابتدأ المُصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ كتابه بالبَسملة، ثُمَّ ثنَّى بالحَمْدلة، ثُمَّ ثَلَّث بالشَّهادة لله بالوحدانيَّة ولمحمَّدٍ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالعُبوديَّة والرِّسالة.

وقَرَنَ ذِكْره صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالصَّلاة والسَّلام عليه وعلى آله.

وهؤلاء الأربعُ من آداب التَّصنيف اتِّفاقًا؛ فمَنْ صَنَّف كتابًا استُحِبَّ له أَنْ يستفتحه بِهِنَّ.

ثُمَّ شَرَع يُبيِّن (اعْتِقَادَ الفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ المَنْصُورَةِ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ)، بذِكْر ما يجمع أصولَه ويَنْظِمُ فصولَه؛ وهو أركان الإيمان السِّتَّة؛ وهي:

(الإِيمانُ بِاللهِ، وَمَلاَئِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ)، واليوم الآخر، و(القَدَرِ خَيْرِهِ وشَرِّهِ).

وأشار إلى الرُّكن الخامس منها - وهو الإيمان باليوم الآخر - بقوله: (وَالبَعْثِ بَعْدَ المَوْتِ)؛ لأمرين:

أحدهما: أنَّ البعث أوَّل مشاهد اليوم الآخر.

والآخر: أنَّه أعظم مسائله الَّتي أنكرَها المُشرِكون.

والاعتقاد الصَّحيح الموافق للحقِّ: هو ما جاء به الشَّرع، **وأهلُه**: هم المُتَّبِعون للسُّنَّة المُجتمِعون عليها؛ ولذلك سُمُّوا (أهلَ السُّنَّة والجماعة).

فمَنْ خالَفَ السُّنَّة وفَارَقَ الجماعة فليس منهم.

وَاخْتَصُّوا بأنَّهم (الفِرْقَةُ النَّاجِيَةُ المَنْصُورَةُ إِلَى قِيامِ السَّاعَةِ).

وهذه الرِّسالة هي في بيان اعتقادهم المُستمَدِّ من القرآن والسُّنَّة.

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَمِنَ الإِيمَانِ بِاللهِ: الإِيمَانُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ، وَبِمَا وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلَا تَعْطِيلٍ، وَمِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلَا تَمْثِيلٍ؛ بَلْ يُؤْمِنُونَ بِأَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشُّورى:١١].

قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللَّهُ:

شَرَعَ المُصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ يُفَصِّل مُجمل الاعتقاد المُتَعَلِّق بأصول الإيمان وأركانه؛ مُبتدئًا برُكن الإيمان بالله.

فَذَكَرَ أَنَّ (مِنَ الإِيمَانِ بِاللهِ: الإِيمَانُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ، وَبِمَا وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وهو مَبْنِيٌّ على أصلين مذكورَيْن في كلام المُصَنِّف:

❁ **فالأصل الأَوَّل**: النَّفي.

وحقيقتُه: نَفْي ما نَفَاه الله عن نفسه أو نَفَاه عنه رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ودليله القُرآنِيُّ: قوله تعالى: (﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشُّورى:١١]).

وهذا الأصل له شَرطان:

- **أحدهما**: السَّلامة من التَّحريف؛ وهو تَغيير مَبنى خطاب الشَّرع أو معناه.

والمبنى هو اللَّفظ.

- **والشَّـرط الثَّـاني**: السَّـلامة مـن التَّعطيـل؛ وهـو إنكـار مـا يجـب لله مـن الأسـماء والصِّفات.

۞ **والأصل الثَّاني**: الإثبات.

وحقيقته: إثباتُ ما أثبته الله لنفسِه أو أَثبتَه له رسولُه صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ.

ودليله القرآنِيُّ: **قوله تعالى**: (﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشُّورى:١١]).

وهذا الأصل له شرطان:

- **أحدهما**: السَّلامة من التَّكيِيف؛ وهو تَعيِين كُنْهِ الصِّفة الإلهِيَّة.

و(كُنْه الشِّيء): حقيقته.

- **والآخر**: السَّلامة من التَّمثيل؛ وهو تَعيِين كُنْهِ الصِّفة الإلهِيَّة بذِكْر مُمَاثِلٍ لها.

وجُمِع بين (التَّحريف والتَّعطيل) وبين (التَّكييف والتَّمثيل) للمُناسبة بينهما؛ فإنَّ التَّحريف يُفضِي إلى التَّعطيل، والتَّكييف يُفضي إلى التَّمثيل.

وهـذان الأصـلان - كمـا تَقَـدَّم - مجموعـان في الآيـة المـذكورة: (﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشُّورى:١١])، علـى مـا تَقَدَّم بيانه مـنِ اشـتمالها علـى النَّفي والإثبات.

وعُمـدة هـذا البـاب نَفْيًـا وإثباتًـا: النَّقـلُ المَحْـضُ مـن كـلام الله أو كـلام رسـوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ.

ويُشَـار إلـى الأصـل الأَوَّل - وهـو النَّفـي - في كتُـب المُتَكَلِّمـين في الاعتقـاد بقـولهم: (تَنْزِيه الله عمَّا لا يليق).

ويُشار إلى الأصل الثَّاني - وهو الإثبات - في كلامهم بقولِهم: (إثبات الكمالات لله).

وهذان الأصلان المذكوران موجودان فِي خطاب الشَّرع معنًى وإنْ فُقِدَا فيه لَفْظًا؛ فأنتَ لا تجدُ عند تقريرِ هذا الباب فِي خطاب الشَّرع ذِكْرَ (النَّفي) أو (الإثبات)، لكِنَّك تجد معناهما؛ فإنَّه في الشَّرع سُمِّي النَّفي (تسبيحًا وتَقديسًا)، وسُمِّي الإثبات (تحميدًا).

وجَرَى في لسان المتكلِّمين في باب الاعتقاد ذِكْر (النَّفي) أو (الإثبات)؛ لِمَا فيه من إحقاق الحَقِّ وإبطال الباطل من مُجادلة المخالفين بلسانِهم.

فاستعمالُ (النَّفي) أو (الإثبات) في بيان أصول هذا الباب أَوْفَى في بيان المعنى - عند مُنازعة المخالِفين - من الفَزَع إلى الألفاظ المُعَبَّر عنها في خطاب الشَّرع.

وتلك الألفاظ المُعَبَّر عنها في خطاب الشَّرع هي أنفعُ في تقرير العقائد الصَّحيحة.

فمَنْ أراد أَنْ يُقَرِّر العقيدة الصَّحيحة - ولا سِيَّما في خطاب العوامِّ وجمهور النَّاس - فإنَّه يُعَرِّفهم بما جاء في خطاب الشَّرع مِن (تسبيح الله) و(تَقديسه) و(تحميده)، ولا حاجةَ لهم إلى اسم (النَّفي) و(الإثبات).

وإنَّما يُحتاج إلى هذين الاسمين (النَّفي) و(الإثبات) في تقرير العقائد عند الرَّدِّ على المُخالفين.

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

فَلَا يَنْفُونَ عَنْهُ مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، وَلَا يُحَرِّفُونَ الكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ، وَلَا يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَاءِ اللهِ تَعَالَى وَآيَاتِهِ، وَلَا يُكَيِّفُونَ وَلَا يُمَثِّلُونَ صِفَاتِهِ بِصِفَاتِ خَلْقِهِ؛ لِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَا سَمِيَّ لَهُ، وَلَا كُفُوَ لَهُ، وَلَا نِدَّ لَهُ، وَلَا يُقَاسُ بِخَلْقِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فَإِنَّهُ - سُبْحَانَهُ - أَعْلَمُ بِنَفْسِهِ وَبِغَيْرِهِ، وَأَصْدَقُ قِيلًا، وَأَحْسَنُ حَدِيثًا مِنْ خَلْقِهِ.

ثُمَّ رُسُلُهُ صَادِقُونَ مُصَدَّقُونَ؛ بِخِلَافِ الَّذِينَ يَقُولُونَ عَلَيْهِ مَا لَا يَعْلَمُونَ، وَلِهَذَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الصَّافَّات]، فَسَبَّحَ نَفْسَهُ عَمَّا وَصَفَهُ بِهِ المُخَالِفُونَ لِلرُّسُلِ، وَسَلَّمَ عَلَى المُرْسَلِينَ؛ لِسَلَامَةِ مَا قَالُوهُ مِنَ النَّقْصِ وَالعَيْبِ.

وَهُوَ - سُبْحَانَهُ - قَدْ جَمَعَ فِيمَا وَصَفَ وَسَمَّى بِهِ نَفْسَهُ بَيْنَ النَّفْيِ وَالإِثْبَاتِ.

فَلَا عُدُولَ لِأَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ عَمَّا جَاءَتْ بِهِ المُرْسَلُونَ؛ فَإِنَّهُ الصِّرَاطُ المُسْتَقِيمُ، صِرَاطُ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللَّهُ:

تَقَدَّمَ أَنَّ باب الصِّفات عند أهل السُّنَّة والجماعة مَبْنِيٌّ على أصلين سَبَقَ ذِكْرهما في كلام المُصَنِّف، هما النَّفي والإثبات.

ونَشَأَ من إعمال هذيْن الأصلين خَمسُ قواعدَ كبارٍ مِن قواعد هذا الباب:

القاعدة الأُولَى: أَنَّ أهل السُّنَّة لا يَنفُون عن الله ما وَصَفَ به نفسه.

والقاعدة الثَّانية: أَنَّهم لا يُحَرِّفون الكَلِم عن مواضعِه.

والقاعدة الثَّالثة: أَنَّهم لا يُلْحِدون في أسماء الله وآياته، و(**الإلحاد فيهما**): المَيلُ بِهما عمَّا يجب فيهما.

والقاعدة الرَّابعة: أَنَّهم لا يُكَيِّفون صفات الله.

والقاعدة الخامسة: أَنَّهم لا يُمَثِّلون صفاتِه بصفات خَلْقه.

ومُوجِب القول بهذه القواعد الخمس عند أهل السُّنَّة أَمْران:

* **أحدهما**: أَنَّ الله (لَا سَمِيَّ لَهُ، وَلَا كُفْوَ لَهُ) ولا نِدَّ له، ولا يُقاس بأحدٍ من خَلْقه - سبحانه.

* **والآخر**: أَنَّ (رُسُلَهُ صَادِقُونَ مُصَدَّقُونَ)؛ فَخَبَرهم صحيحٌ.

وطريق الرُّسل الَّذي جاءوا به: هو إثبات الأسماء والصِّفات لله، مع تنزيه الله عمَّا لا يَليق، ونَفْيِ النَّقائص والآفات عنه.

و(لَا عُدُولَ لِأَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ) عن طريق الأنبياء والرُّسل؛ لأَنَّه (الصِّرَاطُ المُسْتَقِيمُ).

والقول عند أهل السُّنَّة في باب الصِّفات تَبَعٌ للقول فِي الذَّات الإلهِيَّة؛ فإِنَّهم يُثبِتُون وجود الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى، ويمتنِعون عن القَطْع بكيفِيَّة ذاته، وكذلك يقولون في صفاتِه - سبحانه -؛ فيُثْبِتون وُجودها مع الامتناع عن ذِكْر كَيفِيَّاتِها.

فكما أنَّ إثبات الذَّاتِ إثباتُ وُجودٍ؛ يكون إثبات الصِّفات إثباتَ وجودٍ، ولا يُكَيِّفون صفاتِه كما لا يُكَيِّفون ذاته، أي لا يُثبِتون للصِّفات كَيْفِيَّةً كما أنَّهم لا يُثبِتون للذَّات كيفِيَّةً.

وهذا معنى قولهم: (**القول في الصِّفات تَبَعٌ للقول في الذَّات**)، وتارةً يقولون: (**القول في الصِّفات فَرْعٌ عن القول في الذَّات**)؛ يُرِيدون أَنَّ إثبات الصِّفات إثبات وُجودٍ دون كَيْفِيَّةٍ، كما أنَّ إثبات الذَّات إثبات وجودٍ دون كَيْفِيَّةٍ يعلمونها.

وهذه القاعدة قاعدةٌ شريفةٌ عَتيقةٌ في كلام أهل السُّنَّة والجماعة؛ ذَكَرها منهم حَمْدٌ الخَطَّابيُّ، وأبو بكرٍ الخطيبُ، وقَوَّام السُّنَّة الأصبهانِيُّ، ثُمَّ شُهِرت في كلام جماعةٍ من المتأخِّرين المُتَوَسِّعين في الكلام في هذا الباب.

وذَكَر المصنِّف في جملة كلامه هنا قاعدةً شريفةً في باب الأسماء والصِّفات؛ فقال: (وَهُوَ – سُبْحَانَهُ – قَدْ جَمَعَ فِيمَا وَصَفَ وَسَمَّى بِهِ نَفْسَهُ بَيْنَ النَّفْيِ وَالإِثْبَاتِ).

وهذه القاعدة تحتمل مَعنيَيْن:

* **أحدهما**: أَنْ يكون النَّفي والإثبات مَوجودَيْن في جميع الأسماء والصِّفات؛ فيكونُ في الأسماء نَفْيٌ وإثباتٌ، ويكونُ في الصِّفات نَفْيٌ وإثباتٌ.

* **والآخر**: أَنْ يكون النَّفي والإثبات مَوجودَيْن في مجموع الأسماء والصِّفات؛ فيكون في الصِّفات نَفْيٌ وإثباتٌ، ويكون في الأسماء إثباتٌ فقط.

والثَّاني في كلام المُتأخِّرين أَشْهَر، والأَوَّل في معنى كلامِه أظْهر.

فإِنَّ كلامه يُفيد تَعَلُّق النَّفي والإثبات بالأسماء والصِّفات على حَدٍّ سواءٍ؛ فيكون في

كُلٍّ منهما نَفْيٌ وإثباتٌ.

وَبَيَانُه: أَنَّ الأسماءَ الإلَهِيَّة بهذا الاعتبار نوعان:

- **أحدهما:** الأسماء المُثبِتة؛ مثل: (الله)، و(الرَّحمن).
- **والآخر:** الأسماء النَّافِية؛ مثل: (السَّلام)، و(القُدُّوس).

والمُراد بـ(نَفْيِ الأسماء): كَوْنُه في المعنى دون اللَّفظ؛ فالاسمان المذكوران (السَّلام، والقُدُّوس) يَدُلَّان على نَفْيٍ، ولا يقع النَّفي في الأسماء في صورة المبنى؛ أي اللَّفظ والكلام.

وتكون الصِّفات الإلهِيَّة بهذا الاعتبار أيضًا نوعين:

- **أحدهما:** الصِّفات المُثْبَتَة؛ مثل: (الرَّحمة)، و(العِلْم).
- **والآخر:** الصِّفات المَنفِيَّة؛ مثل: (الظُّلم)، و(النَّوم).

ويكون النَّفي والإثبات في الصِّفات مَوجودًا في المبنى والمعنى.

وهذا هو الفَرْق بين النَّفي والإثبات في الأسماء، وبين النَّفي والإثبات في الصِّفات:

- **فالنَّفي في الأسماء:** يكون مُتَعَلِّقًا بالمعنى فقط.
- **وأَمَّا في الصِّفات:** فيكون في المبنى والمعنى جميعًا.

وهذه القاعدة فيها إشكالٌ؛ ولذلك شيخنا ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ له قولان فيها:

- قولٌ على المشهور.
- وقولٌ على المُحَرَّر.

والقول على المُحَرَّر هو قوله الأخيرُ في شَرْح «الواسطيَّة» الأَخِير، وليس منشورًا - فيما أعلم.

والنَّفي المذكور في هذا الباب ليس كمالًا في نفسه، **والمُراد شرعًا**: إثبات الكمال المُقابِل له.

فإذا قيل: (إِنَّ من الصِّفات الإلهِيَّة نَفْي الظُّلم)، فالمراد إثبات العدل.

وإذا قيل: (إِنَّ من الصِّفات الإلهِيَّة نَفْي النَّوم)، فالمراد إثبات الحياة الكاملة لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَقَدْ دَخَلَ فِي هَذِهِ الجُمْلَةِ مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي سُورَةِ الإِخْلَاصِ الَّتِي تَعْدِلُ ثُلُثَ القُرْآنِ؛ حَيْثُ يَقُولُ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص].

وَمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي أَعْظَمِ آيَةٍ فِي كِتَابِهِ؛ حَيْثُ يَقُولُ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ۝٢٥٥﴾ [البقرة]؛ أَيْ لَا يُكْرِثُهُ وَلَا يُثْقِلُهُ.

وَلِهَذَا كَانَ مَنْ قَرَأَ هَذِهِ الآيَةَ فِي لَيْلَةٍ لَمْ يَزَلْ عَلَيْهِ مِنَ اللهِ حَافِظٌ، وَلَا يَقْرَبُهُ شَيْطَانٌ حَتَّى يُصْبِحَ.

وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان:٥٨].

وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝٣﴾ [الحديد].

وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ۝٢﴾ [التَّحريم].

﴿ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ۝٣﴾ [التَّحريم].

﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ﴾ [سبأ:٢].

﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ۝٥٩﴾ [الأنعام].

﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ﴾ [فاطر:١١].

وَقَوْلُهُ: ﴿لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق].

وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الذاريات].

وَقَوْلُهُ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾﴾ [النساء].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ﴾ [الكهف:٣٩].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُواْ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُواْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾﴾ [البقرة].

وَقَوْلُهُ: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ﴾ [الأنعام:١٢٥].

وَقَوْلُهُ: ﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾﴾ [المائدة].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَأَحْسِنُوٓاْ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾﴾ [البقرة].

﴿وَأَقْسِطُوٓاْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾﴾ [الحجرات].

﴿فَمَا ٱسْتَقَٰمُواْ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُواْ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧﴾﴾ [التوبة].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾ [البقرة].

﴿فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة:٥٤].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾﴾ [الصَّفّ].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [آل عمران].

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ﴾ [المائدة:١١٩].

وَقَوْلُهُ: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿١﴾﴾ [الفاتحة].

﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر:٧].

﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾ [الأحزاب].

وَقَالَ: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ﴾ [الأنعام:٥٤].

﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾﴾ [يونس].

﴿فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [يوسف].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ﴾ [النساء:٩٣].

وَقَوْلُهُ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٢٨﴾﴾ [محمد].

وَقَوْلُهُ: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ﴾ [الزُّخرف:٥٥].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ﴾ [التَّوبة:٤٦].

وَقَوْلُهُ: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٣﴾ [الصَّفّ].

وَقَوْلُهُ: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾ [البقرة:٢١٠].

﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا﴾ [الأنعام:١٥٨].

وَقَوْلُهُ: ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ۝٢١ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ۝٢٢﴾ [الفجر].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ۝٢٥﴾ [الفرقان].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ۝٢٧﴾ [الرَّحمن].

وَقَوْلُهُ: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص:٨٨].

وَقَوْلُهُ: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ [ص:٧٥].

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [المائدة:٦٤].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور:٤٨].

﴿وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ۝١٣ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ۝١٤﴾ [القمر].

﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ٣٩﴾ [طه].

وَقَوْلُــــــهُ: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ﴾

[المجادلة:١].

وَقَوْلُهُ: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾ [آل عمران:١٨١].

﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ٤٦﴾ [طه].

وَقَوْلُهُ: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ٨٠﴾ [الزُّخرف].

وَقَوْلُهُ: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ١٤﴾ [العلق:١٤].

وَقَوْلُهُ: ﴿ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ٢١٨ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ٢١٩﴾ [الشعراء].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَۖ﴾ [التوبة:١٠٥].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ١٣﴾ [الرعد].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ٥٤﴾ [آل عمران].

وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ١٥ وَأَكِيدُ كَيْدًا ١٦﴾ [الطارق].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَكَرُواْ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ٥٠﴾ [النَّمل].

وَقَوْلُهُ: ﴿إِن تُبْدُواْ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُواْ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ١٤٩﴾ [النِّساء].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ٢٢﴾ [النُّور].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ﴾ [المنافقون:٨].

وَقَوْلُهُ: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾﴾ [ص].

وَقَوْلُهُ: ﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾﴾ [الرَّحمن].

وَقَوْلُهُ: ﴿فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾ [مريم].

﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص].

وَقَوْلُهُ: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة].

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ﴾ [البقرة:١٦٥].

﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴿١١١﴾﴾ [الإسراء].

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ [التَّغابن].

وَقَوْلُهُ: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾﴾ [الفرقان].

وَقَوْلُهُ: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [المؤمنون].

وَقَوْلُهُ: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾﴾ [النَّحل].

وَقَوْلُهُ: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟

بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأعراف].

وَقَوْلُهُ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾ [طه].

﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ فِي سِتَّةِ مَوَاضِعَ [الأعراف:٥٤، يونس:٣، الرَّعد:٢، الفرقان:٥٩، السَّجدة:٤، الحديد:٤].

وَقَوْلُهُ: ﴿يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران:٥٥].

﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النِّساء:١٥٨].

وَقَوْلُهُ: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر:١٠].

وَقَوْلُهُ: ﴿يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّيٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ﴿٣٧﴾﴾ [غافر].

وَقَوْلُهُ: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾﴾ [الملك].

وَقَوْلُهُ: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾﴾ [الحديد].

وَقَوْلُهُ: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُواْ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾﴾ [المجادلة].

وَقَوْلُهُ: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التَّوبة:٤٠].

وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾ [طه].

وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [النَّحل].

﴿وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الأنفال].

وَقَوْلُهُ: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾﴾ [البقرة].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾﴾ [النِّساء].

﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾ [النِّساء:١٢٢].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾ [المائدة:١١٦].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ﴾ [الأنعام:١١٥].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾ [النِّساء].

وَقَوْلُهُ: ﴿مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ۚ﴾ [البقرة:٢٥٣].

﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعراف:١٤٣].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾﴾ [مريم].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾﴾ [الشُّعراء].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾﴾ [الأعراف].

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَاءِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [القصص].

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [القصص].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ [التَّوبة:٦].

﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ﴾ [البقرة:٧٥].

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا﴾ [الفتح:١٥].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾ [الكهف:٢٧].

وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾﴾ [النَّمل].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ﴾ [الأنعام:٩٢].

وَقَوْلُهُ: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ۚ﴾ [الحشر:٢١].

﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ ۙ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَرٍ ۚ بَلْ
أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا
وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ
الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾﴾ [النحل].

وَقَوْلُهُ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة].

﴿عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [المطففين].

وَقَوْلُهُ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ﴾ [يونس:٢٦].

وَقَوْلُهُ: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيۡنَا مَزِيدٞ ٣٥﴾ [ق].

وَهَذَا البَابُ فِي كِتَابِ اللهِ كَثِيرٌ، مَنْ تَدَبَّرَ القُرْآنَ طَالِبَ الهُدَى مِنْهُ تَبَيَّنَ لَهُ طَرِيقُ الحَقِّ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللهُ:

لَمَّا قَرَّر المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ قاعدةَ أهل السُّنَّةِ والجماعة في باب الأسماء والصِّفات، ذَكَرَ جملةً مُستكثَرةً من الآيات القرآنيَّة والأحاديث النَّبويَّة المُندرِجةِ في تلك القاعدة.

ومُوجِب اقتصارِه على الآي والأحاديث: ما تَقَدَّم ذِكْرُه، من أَنَّ عُمدةَ هذا الباب هو النَّقل المَحْضُ من كلام الله وكلام رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فإِنَّ أسماءَ الله وصفاته غَيْبٌ مَحْجوبٌ عنَّا، لا نَطَّلِعُ عليه إلَّا بِوَحْيٍ، مِمَّا جاء في كلامه سبحانه أو في كلام رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

واستغنى المصنِّف بسياق الآيات والأحاديث عن تفاصيل ما فيها من الأسماء والصِّفات؛ لظهور دِلالتها وَفْقَ اللِّسان العربيِّ.

فمَنْ ألقى سَمعه إلى تِلك الآيات والأحاديثِ وهو يعرف لسان العربِ، وَعَى ما في تلك الآيات والأحاديث من أسماء الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وصِفاته.

- **فالاسم**: يُعرَف بالتَّصريح.
- **والصِّفة**:
  - تُعرَف تارةً بالتَّصريح.
  - وتارةً تُعرَف بالاسم والفعل الدَّالَّيْن عليها.

فالأسماء الإلهِيَّة يأتِي ذِكْرُها مُصَرَّحًا بِها في الآيات والأحاديث.

وتكونُ الصِّفات تارةً كذلك فيُصَرَّح بِها، وتارةً يُذْكَر اسمٌ إلهيٌّ أو فِعْلٌ إلهيٌّ يَدُلُّ على صفةٍ لله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى.

فالأسماء الإلهِيَّة تدلُّ على الصِّفات الإلهيَّة؛ **فكُلُّ اسمٍ من أسماء الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى فيه صفةٌ أو أكثر**، وسيأتِي بيانُه.

وعِدَّة الأدِلَّة القُرآنِيَّة: مائةٌ وأحد عشر.

وعِدَّةُ الأدِلَّة الحدِيثِيَّة: سِتَّة عشر، وستأتِي إن شاء الله تعالى.

وهي باعتبار دلالتها على الأسماء والصِّفات ثلاثة أقسامٍ:

* **القِسم الأوَّل**: ما دَلَّ على الأسماء والصِّفات معًا؛ بذِكْر اسمٍ إلهيٍّ يتضمَّن صفةً إلهِيَّةً أو أكثر.

* **والقِسم الثَّاني**: ما دَلَّ على صفاتٍ مُضَمَّنَةٍ الأسماءَ الإلهِيَّة المذكورة، لكن يذكرُها بأدِلَّةٍ مُستقِلَّةٍ، كصفة (الرَّحمة)؛ فإنَّها وإنْ استُنبِطَت مِنِ اسم (الرَّحيم) كما في القِسم الأوَّل فقد ذكَر المصنِّف أدِلَّةً مستقِلَّةً لها، كقوله تعالى: (﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام:٥٤]).

* **والقِسم الثَّالث**: ما يَدُلُّ على صفاتٍ لم تندرج في الأسماء المذكورة؛ فجاء المصنِّف بأدِلَّةٍ مستقلَّةٍ تشتمِلُ على صفاتٍ زائدةٍ على صفات الأسماء.

والأسماء الإلهِيَّة باعتبار الإفرادِ والإضافةِ نوعان:

- **أحدهما**: الأسماء المُفردة؛ مثل: (الله)، و(الرَّحمن).

- **والآخر**: الأسماء الإضافِيَّة؛ مثل: (أرحم الرَّاحمين)، و(ذي القُوَّة)؛ وقد ذَكَر هذا النَّوع قَوَّام السُّنَّة الأصبهانِيُّ في كتاب «الحُجَّة»، وابن تيميَّةَ في «الفتاوى المصرِيَّة»، وشيخنا ابن بازٍ في بعض أجوبته.

ونَقَل ابن تيميَّةَ إجماع المسلمين على دعاء الله بِها.

وزاد ابن القيِّم في «بدائع الفوائِد» و«شفاءِ العليل» **نوعًا ثالثًا؛ وهو الأسماء الإلهِيَّة المزدوِجَة**؛ وهي الأسماء المُتقابِلَة الَّتي تكون بمنزلة اسمٍ واحِدٍ؛ فلا يُفصَل أحدُ المتقابِلَيْن عن الآخرِ عند ذِكْر الاسم؛ كـ(القابِض) و(الباسط)، و(النَّافع) و(الضَّار)، و(المانع) و(المُعطي).

فهذه الأسماءُ المزدوِجة يكون الواحد منهما مِن اسميْن لا يُفصَلان؛ فيُسَمَّى الله (القابضُ الباسط)، ولا يُسَمَّى (قابضًا) على الإفراد، ولا (باسِطًا) على الإفراد.

ويُقَال مثلُ هذا فِي سائر ما ذُكِر من الأسماء المزدوِجة المتقابِلة.

ولم يثبت من هذا النَّوع سوى اسم (القابض الباسط)؛ فثَبَت هذا مِن حديث أنسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عند أصحاب «السُّنن» إلَّا النَّسائيِّ، وإسناده صحيحٌ.

وعِدَّةُ الأسماء الإلهِيَّة الواردة في الآيات القُرآنِيَّة المذكورة عند المصنِّف: اثنان وثلاثون اسمًا:

الأَوَّل: [١] (الله)؛ قال الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص]، وقال: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، إلى غير ذلك من الآيات.

والثَّاني: [٢] (الأحد)؛ قال الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص]، ولم

يأتِ مُعَرَّفًا بـ (أل) في القرآن، وصَحَّ في السُّنَّة.

والثَّالث: [٣] (الصَّمد)؛ قال الله تعالى: (﴿ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ ﴾ [الإخلاص])، و(**الصَّمَد**) هو السَّيد الكامل المقصود في الحوائج.

والرَّابع، والخامس: [٤] (الحيُّ)، [٥] و(القَيُّوم)؛ قال الله تعالى: (﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ ﴾ [البقرة: ٢٥٥])، وقال: (﴿ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ ﴾ [الفرقان:٥٨]).

ومعنى (القَيُّوم): القائم على نفسه، القائم على غيره.

والسَّادس، والسَّابع: [٦] (العَلِيُّ)، [٧] و(العظيم)؛ قال الله تعالى: (﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ [البقرة: ٢٥٥]).

والثَّامن، والتَّاسع، والعاشر، والحادي عشر: [٨] (الأَوَّل)، [٩] و(الآخر)، [١٠] و(الظَّاهر)، [١١] و(الباطن)؛ قال الله تعالى: (﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ ﴾ [الحديد: ٣]).

وصَحَّ عن النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في تفسيرها: أَنَّ (**الأَوَّل**) هو الَّذي ليس قبله شيءٌ، وأَنَّ (**الآخر**) هو الَّذي ليس بعده شيءٌ، وأَنَّ (**الظَّاهر**) هو الَّذي ليس فوقه شيءٌ، وأَنَّ (**الباطن**) هو الَّذي ليس دونه شيءٌ. رواه مسلمٌ من حديث أبي هريرةَ.

وأغنى تفسيرُه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن ابتغاء تفسيرِ غيرِه؛ ذَكَره ابن جريرٍ الطَّبَريُّ وغيره.

والثَّاني عشر، والثَّالث عشر، والرَّابع عشر: [١٢] (العَليم)، [١٣] و(الحكيم)، [١٤] و(الخبير)؛ قال الله تعالى: (﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ [التَّحريم:٢])، وقال: (﴿ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ﴾ [التَّحريم:٣]).

والاسم الخامس عشر، والسَّادس عشر، والسَّابع عشر: [١٥] (الرَّزاق)، [١٦] و(ذو القُوَّة)، [١٧] و(المتين)؛ قال الله تعالى: (﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ۝٥٨﴾ [الذاريات]).

و**(ذو القُوة)**: صاحبها.

و**(المتين)**: شديد القُوَّة.

و(ذو القُوَّة) يُقال فيه: إنَّه اسمٌ إضافِيٌّ.

ولا أعلمُ أحدًا صَنَّف في الأسماء الإضافِيَّة، والنَّاس محتاجُون إليها، ولا سيَّما مع الإجماع الَّذي نَقَله ابن تيميَّة في دعاء الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بِها؛ فهي حقيقة بِتَتبُّعها في القرآن والسُّنَّة وبيانِ معانيها.

والثَّامن عشر، والتَّاسع عشر: [١٨] (السَّميع)، [١٩] و(البصير)؛ قال الله تعالى: (﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشُّورى:١١])، وقال: (﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النِّساء:٥٨]).

والاسم العشرون، والحادي والعشرون، والثَّاني والعشرون: [٢٠] (الغفور)، [٢١] و(الرَّحيم)، [٢٢] و(الرَّحمن)؛ قال الله تعالى: (﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [يونس:١٠٧])، وقال تعالى (﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣٠﴾ [النَّمل]).

والثَّالث والعشرون: [٢٣] (الرَّب)؛ قال الله تعالى: (﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر:٧])، وقال: (﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام:٥٤]).

ولم يأتِ هذا الاسم في القرآن مُعَرَّفًا بـ (أل)، وثَبَت في السُّنَّة.

والرَّابع والعشرون، والخامس والعشرون: [٢٤] (العَفُوُّ)، [٢٥] و(القدير)؛ قال الله تعالى: (﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ [النِّساء: ١٤٩]).

والسَّادس والعشرون: [٢٦] (أرحم الرَّاحمين)؛ قال الله تعالى: (﴿وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [يوسف:٦٤]).

والسَّابع والعشرون: [٢٧] (شديد المِحَال)؛ قال تعالى: (﴿وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ﴾ [الرَّعد:١٣])، و(**المِحال**): المُغالَبة بمَكرٍ وكَيْدٍ.

والثَّامن والعشرون: [٢٨] (خير الماكرين)؛ قال الله تعالى: (﴿وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ٥٤﴾ [آل عمران:٥٤]).

والاسم التَّاسع والعشرون، والثَّلاثون: [٢٩] (ذو الجلال)، [٣٠] و(ذو الإكرام)؛ قال الله تعالى: (﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ٧٨﴾ [الرَّحمن]).

والاسم الحادي والثَّلاثون، والثَّاني والثَّلاثون: [٣١] (عالِم الغيب)، [٣٢] و(عالِم الشَّهادة)؛ قال الله تعالى: (﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ [الحشر:٢٢]).

والأسماء السَّبعة الأخيرة هي من الأسماء الإلهيَّة المُضافة.

والأسماء المذكورة تتضمَّن أربعًا وثلاثين صفةً إلهيَّة؛ هي: [١] (الألوهِيَّة)، [٢] و(الأَحدِيَّة)، [٣] و(الصَّمَدِيَّة)، [٤] و(الحياة)، [٥] و(القَيُّومِيَّة)، [٦] و(العُلُوُّ)، [٧] و(العَظَمَة)، [٨] و(الأَوَّلِيَّة)، [٩] و(الآخِرِيَّة)، [١٠] و(الظُّهور)، [١١] و(البُطون)، [١٢] و(العِلم)، [١٣] و(الحُكم)، [١٤] و(الحِكمة)، [١٥] و(الخَبَر)، [١٦] و(الخُبْر)، [١٧] و(الخِبْرة)، [١٨] و(الرِّزْق) - بفَتْح الرَّاء وكَسْرها -، [١٩] و(القُوَّة)، [٢٠] و(المَتانة)، [٢١]

و(السَّـمع)، [٢٢] و(البَصَـر)، [٢٣] و(البُصْـر)، [٢٤] و(البصـيرة)، [٢٥] و(المغفـرة)، [٢٦] والرَّحمة، [٢٧] والرُّبوبِيَّة، [٢٨] و(العَفو، [٢٩] و(القُدرة)، [٣٠] و(التَّقـدير)، [٣١] و(المِحـال)، [٣٢] و(المَكْر)، [٣٣] و(الجلال)، [٣٤] و(الكَرَم).

وهذه الصِّفات الأربع والثَّلاثون مُجتذَبَةٌ من الأسماء الإلهِيَّة المُتقَدِّمة؛ فمثلًا: اسْم (السَّميع) يَدُلُّ على صفة (السَّمع).

وقد تَقَدَّم أَنَّ كُلَّ اسْمٍ إلهيٍّ فإِنَّه يَدُلُّ على صفةٍ إلهِيَّةٍ أو أكثر؛ فتارةً يـدُلُّ الاسـم على صفة، وتارةً يَدُلُّ على صفتين، وتارةً يَدُلُّ على ثلاث صفات.

فمثلًا:

- **اسم** (الله) يدُلُّ على صفةٍ واحدةٍ هي (الأُلوهِيَّة).
- **وَاسْم** (**الحكيم**) يَدُلُّ على صفتين إلهِيَّتين؛ هما (الحِكمة، والحُكم).
- **وَاسْـم** (**البصـير**) يَـدُلُّ علـى ثـلاث صـفاتٍ إلهِيَّـة؛ هـي (البَصَـر، والبُصْـر، والبصيرة).

فمتى سَاعَدَ الوَضع اللُّغويُّ على الدِّلالة على صفةٍ ولم يأباه النَّقل الشَّرعيُّ فطريقُه الإثبات؛ وهذا يُبَيِّن شِدَّة الحاجة إلى معرفة اللِّسان العربيِّ.

فإِنَّ من الصِّفات الإلهِيَّة ما يكون ثابتًا به الوضع العربيُّ تَبَعًا للدَّليل، ثُمَّ لا تجد ذِكْرَه، وتجد مَنْ يزيد صفةً إلهِيَّة مِن اسمٍ ولا يُساعِد عليها الوضع اللُّغويُّ.

فمثلًا: ما سَبَقَ ذِكْرُه مِن أَنَّ اسم (البصير) فيه ثلاث صفاتٍ، يَدُلُّ عليه الوضع اللُّغويُّ لـ(الباء، والصَّاد، والرَّاء) مِن أَنَّ اسم (البصير) الواقع اسمَ فاعلٍ يدُلُّ على

(البَصَر، والبُصْر، والبصيرة).

فاللِّسان العربيُّ يدُلُّ على مُضَمَّن هذا الاسم مِن الصِّفات؛ ولو لم يأتِ ذِكْرُها مُصَرَّحًا بِها على حِدَةٍ؛ فإنَّه قد تأتِي الصِّفة الإلهِيَّة مَذكورةً في الاسمِ، ثُمَّ لا تجدُ لها ذِكْرًا، لا في آيةٍ ولا في حديثٍ ولا في كلام السَّلف؛ استغناءً بوضوح ذلك في اللِّسان العربيِّ.

فمثلًا: صفة (المَتانة)؛ يقطع أهل السُّنَّة والجماعة أَنَّها صفةٌ لله؛ فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من أسمائه (المتين)، والصِّفة الَّتي في (المتين) هي (المَتانة).

فعلى قواعد أهل السُّنَّة هذا مقطوعٌ به، ولكن لِقلَّة فَهْم دلائل الشَّرع في هذا الباب وضَعْف اللِّسان العربيِّ، صار مَنْ إذا ذُكِرَت صفة (المتانة) يقول: أين الدَّليل؟ وهذا الدَّليل في القرآن الكريم.

وتارةً وَقَعَ في لسان بعض المتأخِّرين زيادةُ صفة من اسْمٍ، وليست كذلك؛ فمثلًا: صفة (الإحكام) لا تُستفاد من اسْم (الحكيم) وإنْ كانت من صفات الله؛ لأنَّ اللِّسان العربيَّ يَأْبى ذلك؛ فـ(الإحكام) أصلُ فِعْله رباعيٌّ وهو (أَحْكَم)، وأَمَّا (الحَكيم) فأَصْل فِعْله ثلاثيٌّ وهو (حَكَم)؛ فيكون منه صفتان فقط؛ هما: (الحُكم)، و(الحكمة).

وذَكَر المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ أدِلَّةً مستقلَّةً لِتسع صفاتٍ؛ من هذه الصِّفات المذكورة؛ زيادةً على استنباطِها من الأسماء، وهي: [١] (الأُلوهِيَّة)، [٢] و(العِلْم)، [٣] و(السَّمع)، [٤] و(الرَّحمة)، [٥] و(الحُكم)، [٦] و(الحِكمة)، [٧] و(التَّقدير)، [٨] و(المَكْر)، [٩] و(العُلُوُّ)؛ فأثبتها بطريقِ الأسماء، وأَثْبتها أيضًا بأدِلَّةٍ مستقلَّةٍ تشتمل على تلك الصِّفات.

وذَكَر المصنِّف - كما تَقَدَّم - آياتٍ تدلُّ على صفاتٍ إلهِيَّة زائدةٍ على الصِّفات المذكورة في أسماء الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

ومنها: ما هو مُثبَتٌ، ومنها: ما هو مَنفِيٌّ.

فإنَّ صفات الله باعتبار النَّفي والإثبات نوعان:

- **أحدهما**: صفاتٌ مُثبَتَةٌ؛ كـ(الرَّحمة)، و(العِلم).
- **والآخر**: صفاتٌ مَنفِيَّةٌ؛ كَنَفْي (الظُّلم) و(النَّوم).

ويُسَمَّى الأَوَّل: (الصِّفات الثُّبوتِيَّة)، ويُسَمَّى الثَّاني: (الصِّفات السَّلبِيَّة).

وهذه الصِّفات الإلهِيَّة المُثبَتة الواردة في الآيات غيرُ تلك الصِّفات الإلهِيَّة الواردة في الأسماء المُتقَدِّمة، **وعِدَّتُها: ثمانٌ وخمسونَ صِفةً إلهِيَّةً:**

فالصِّفة الأُولى: [١] (الإذن)؛ قال الله تعالى: (﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة:٢٥٥]).

والصِّفة الثَّانية: [٢] (الحِفظ)؛ قال الله تعالى: (﴿فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَـٰفِظًا﴾ [يوسف:٦٤]).

وقال: (﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا﴾ [البقرة:٢٥٥])؛ (أَيْ لَا يُكْرِثُهُ وَلَا يُثْقِلُهُ)؛ فلا يَهُمُّه ولا يُبالي به؛ ثَبَتَ هذا التَّفسير - الَّذي ذَكَره المصنِّف - عن ابن عبَّاسٍ ومُجاهِدٍ.

والصِّفة الثَّالثة، والرَّابعة: [٣] (المشيئة)، [٤] و(الإرادة)؛ قال الله تعالى: (﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ [البقرة: ٢٥٥])، وقال: (﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ [المائدة:١])، إلى غير ذلك من الآيات الَّتي ذكرها المصنِّف.

والفَرْق بين (المشيئة) و(الإرادة):

- أَنَّ (الإرادة): تَتَعلَّق بالأمر الكَونِيِّ القَدَريِّ، والأمر الدِّينِيِّ الشَّرعيِّ.
- وأَمَّا (المشيئة): فتَختَصُّ بالأمر الكَوْنيِّ القَدريِّ.

فتقول مثلًا: (أراد الله أَنْ تكون السَّماواتُ سبعًا، وأراد أَنْ تكون الصَّلواتُ المفروضةُ خمسًا)؛ فهذا الأَوَّل كونيٌّ، والثَّاني شرعيٌّ.

وأَمَّا إذا جئتَ لتستعملَ (المشيئة) فتقول: (شاءَ الله أَنْ تَكون السَّماواتُ سَبعًا)، ولا تستعملها في الأمر الدِّينيِّ الشَّرعيِّ، تَبَعًا لخطاب الشَّرع.

والصِّفة الخامسة: [٥] (الإحاطة)؛ قال الله تعالى: (﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا﴾ [الطَّلاق:١٢]).

والصِّفة السَّادسة، والسَّابعة، والثَّامنة، والتَّاسعة: [٦] (الهِداية)، [٧] و(الشَّرح)، [٨] و(الإضلال)، [٩] و(الجَعْل)؛ قال الله تعالى: (﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا﴾ [الأنعام:١٢٥]) الآية.

والصِّفة العاشرة: [١٠] (الوَعظ)؛ قال الله تعالى: (﴿إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ﴾ [النِّساء:٥٨]).

والصِّفة الحادية عشرة: [١١] (المَحبَّة)؛ قال الله تعالى: (﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [المائدة:١٣])، وقال: (﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [التَّوبة:٤])، إلى غير ذلك من الآيات الَّتي ذكرها المصنِّف.

والثَّانية عشرة: [١٢] (الرِّضا)؛ قال الله تعالى: (﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ﴾ [التَّوبة:١٠٠]).

والثَّالثة عشرة: [١٣] (الكتابة)؛ قال الله تعالى: (﴿كَتَبَ رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَۖ﴾

[الأنعام:٥٤]).

والرَّابعة عشرة، والخامسة عشرة: [١٤] (الغضب)، [١٥] و(اللَّعن)؛ قال الله تعالى: (﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَلَعَنَهُۥ﴾[النِّساء:٩٣]).

والسَّادسة عشرة، والسَّابعة عشرة، والثَّامنة عشرة: [١٦] (السُّخط)، [١٧] و(الرِّضوان)، [١٨] و(الإحباط)؛ قال الله تعالى: (﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسۡخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضۡوَٰنَهُۥ فَأَحۡبَطَ أَعۡمَٰلَهُمۡ ٢٨﴾[محمَّد]).

و(السَّخَطُ) و(السُّخْط) لغتان فِي هذه الصِّفة، فتُضَمُّ السِّينُ وتُفتَح.

و(الرِّضوان) و(الرُّضوان) لغتان في هذه الصِّفة أيضًا، فتكسَر الرَّاءُ وتُضَمُّ.

وتُذْكَر الصِّفة بكُلِّ لغةٍ منهمَا.

والصِّفة التَّاسعة عشرة، والعشرون، والحادية والعشرون: [١٩] (الأسَف)، [٢٠] و(الانتقام)، [٢١] و(الإغراق)؛ قال الله تعالى: (﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ﴾[الزُّخرف:٥٥]).

و(الأسف): شِدَّةُ الغَضب.

والفَرْق بينه وبين (السُّخط): أَنَّ (السُّخط): شِدَّة غضبٍ مَقرونةٌ بكراهيةٍ أكثر.

والصِّفة الثَّانية والعشرون، والثَّالثة والعشرون: [٢٢] (الكراهة)، [٢٣] و(التَّثبيط)؛ قال الله تعالى: (﴿وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ فَثَبَّطَهُمۡ﴾[التَّوبة:٤٦]).

والتَّثبيط: الحَبْسُ والمَنْع.

ويُقَال في هذه الصِّفة: (الكراهة)، و(الكَرَاهية)؛ فهي لُغتان فيها.

والرَّابعة والعشرون: [٢٤] (المَقْت)؛ قال الله تعالى: (﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [غافر:٣٥]).

و**(المَقْت)** هو أَشَدُّ البُغض.

والصِّفة الخامسة والعشرون: [٢٥] (الإتيان)؛ قال الله تعالى: (﴿إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة:٢١٠])، وقال: (﴿أَوۡ يَأۡتِيَ رَبُّكَ﴾ [الأنعام:١٥٨]).

والصِّفة السَّادسة والعشرون: [٢٦] (المجيء)؛ قال الله تعالى: (﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر:٢٢]).

والفَرْق بين (الإتيان) و(المجيء): أَنَّ (الإتيان) أَقوى.

- فـ**(المجيء)** مُجرَّد الوُرود.
- وأَمَّا **(الإتيان)**: فهو وُرودٌ بِقُوَّةٍ.

والصِّفة السَّابعة والعشرون: [٢٧] صفة (الوَجه)؛ قال الله تعالى: (﴿وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ﴾ [الرَّحمن:٢٧])، وقال: (﴿كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥ﴾ [القصص:٨٨]).

والصِّفة الثَّامنة والعشرون: [٢٨] صفة (الإنفاق)؛ قال الله تعالى: (﴿يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُ﴾ [المائدة:٦٤]).

والصِّفة التَّاسعة والعشرون: [٢٩] صفة (اليدين)؛ قال الله تعالى: (﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ﴾ [ص:٧٥])، وقال تعالى: (﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾ [المائدة:٦٤]).

واقتصر المصنِّف على الآيات الَّتي ذُكِرَت فيها اليدان مُثَنَّاةً؛ لأنَّها حقيقة الصِّفةِ.

وقد وَقَع في القرآن ذِكْر اليد مُفردةً ومجموعةً:

- **فمن المُفرَد**: قوله تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ [الملك:١].
- **ومن الجَمْع**: قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ﴾ [يس:٧١].

والتَّوفيق بين هذه الآيات:

- **أنَّ المفرَد**: لبيان جنس الصِّفة؛ يعني إثبات صفة اليد.
- **وأنَّ الجمع**:
  - لأجل التَّعظيم؛ أي تعظيم الله.
  - أو للمُشاكلة في الكلام؛ أي جَعْله في شكلٍ واحدٍ؛ ليسُهل على اللِّسان؛ فإنَّ الله قال: ﴿أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ﴾ [يس:٧١]؛ فناسَبَ الجمعُ المذكور في الأفعال أَنْ يكونَ في الاسم أيضًا.
- **وأمَّا التَّثنية**: فهي المُرادة حقيقةً؛ فالله عَزَّوَجَلَّ له يدان.

ووجه كَوْنها المُرادَة حقيقةً: أنَّ العرب إذا أطلقت المُثَنَّى فتُريد حقيقتَه فقط، بِكَوْنه اثنين، أَمَّا المُفرَد والجمع: فقد يُطلَقان على غيرِ الحقيقةِ؛ فتارةً يُطلَق المُفْرَد ويُرَاد به: جَمْعٌ - وهو الجنس، والجِنس أفرَادٌ كثيرةٌ -، وتارةً يُطلَق الجمع ويُراد به: التَّعظيم؛ كقول الله عن نفسه: ﴿أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم﴾ [يس:٧١]، فالمقصود بذلك: تعظيمه سبحانه، وكقوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ٩﴾ [الحجر]؛ فالمراد بذلك: هو تعظيم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

والصِّفة الثَّلاثون: [٣٠] صفة (العينين)؛ قال عَزَّوَجَلَّ: (﴿وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ﴾ [الطُّور:٤٨])، وقال تعالى: (﴿تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا﴾ [القمر:١٤])، وقال تعالى: (﴿وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ﴾ [طه:٣٩])؛ وهذه الآيات في إثبات صفة العينين لله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ.

وقد وَقَع ذِكْر الصِّفة في القرآن مُفردةً، ومجموعةً؛ كما في هذه الآيات.

والمراد بالإفراد: ما سَبَق ذِكْره من إرادة الجنس، **والمراد بالجمع:** إرادة التَّعظيم.

وأَمَّا التَّثنية: فلم تأتِ صريحةً في القرآن ولا في السُّنَّة، ولَكِنَّ الإجماع مُنعقِدٌ عليها؛ فأهل السُّنَّة مُجمِعون على أَنَّ لله عينين.

والأصل عندهم فيه: قول النَّبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ لَمَّا ذَكَر الدَّجَّال: «**أَلَا إِنَّهُ أَعْوَرُ، وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ**».

فـ(العَوَر) **في لسان العرب:** صفةُ ذِي عَينين؛ إحداهما مَعِيبَةٌ والأخرى سليمةٌ؛ فلا يُريدونه صفةً لذي أَعْيُنٍ، ولا يُريدونه صفةً لذي عَينٍ.

فقوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ**» يفيد أمرين:

- **أحدهما:** أَنَّ لله عينين.
- **والآخر:** أَنَّ عَينيه سبحانه كاملتان.

واستدَلَّ بِهذا الحديث في تقرير صفة (العَيْنين): الدَّارميُّ، وأبو عبد الله أحمدُ ابن حنبلٍ، في جماعةٍ آخرين من أهل السُّنَّة.

ومِثلُ هذا لا يُقال فيه: (إِنَّه مِن قياس الخالِق على المخلوق)؛ فإِنَّ مِن قواعد أهل السُّنَّة ما تَقَدَّم ذِكْره في قول المصنِّف: (وَلَا يُقَاسُ بِخَلْقِهِ).

بل يُقال: إِنَّ هذا من فَهْم اللِّسان العربيِّ؛ فالعربيُّ إذا سَمِع أحدًا يذكر أَنَّ فلانًا أعور فهو يَفهم أَنَّ فلانًا هذا له عينان؛ إحداهما: سليمةٌ، والأخرى: مَعيبَةٌ.

ولَمَّا نُفِي عن اللهِ العَوَرُ عُلِمَ أَنَّ لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَينان كاملتان.

والصِّفة الحادية والثَّلاثون: [٣١] صِفة (الحَمْل)؛ قال تعالى: (﴿وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾﴾ [القمر]).

والصِّفة الثَّانية والثَّلاثون: [٣٢] صفة (الإلقاء)؛ قال الله تعالى: (﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾ [طه:٣٩]).

والصِّفة الثَّالثة والثَّلاثون: [٣٣] صفة (الرُّؤية)؛ قال تعالى: (﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه:٤٦])، وقال تعالى: (﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾﴾ [العلق])، إلى غير ذلك من الآيات المذكورة عنده.

والصِّفة الرَّابعة والثَّلاثون: [٣٤] صفة (الكَيد)؛ قال الله تعالى: (﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾﴾ [الطَّارق]).

وهذه الصِّفة (الكَيد) مع صفة (المكر) و(المِحال) المُتَقَدِّمتَيْن كَمَالُها في مقابلَة أهلِها؛ فَمَكْرُه - سبحانه - ومِحالُه وكَيْدُه هو لأهل المَكر والمِحَال والكَيْد؛ فيكون كمالًا لله.

وقاعدة المسألة: أَنَّ الصِّفات الإلهِيَّة باعتبار الإطلاق والتَّقييد نوعان:

- **أحدهما: صفاتٌ مُطلقَةٌ**؛ وهي الخالصة في الدَّلالة على الكمال؛ كـ(العِلْم، والحياة، والقُدرة).

- **والآخر: صفاتٌ مُقيَّدةٌ**؛ وهي الَّتي تكون كمالًا مِن وَجْهٍ ونَقْصًا من وَجْهٍ، ويَبِين كمالها بِمُجازاة أهلها؛ كـ (المَكر، والكيد، والمِحال).

فهذه الصِّفات في حَقِّ الله كَمالٌ؛ لأَنَّها في مُقابلةِ أهلِها.

والصِّفة الخامسة والثَّلاثون: [٣٥] صفة (العِزَّة)؛ قال الله تعالى: (﴿وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ﴾ [المنافقون:٨])، وقال: (﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ﴾ [ص:٨٢]).

والصِّفة السَّادسة والثَّلاثون: [٣٦] صِفة (الحَمْد)؛ قال تعالى: (﴿لَهُ ٱلۡمُلۡكُ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُۖ﴾ [التَّغابن:١])، وقال: (﴿ وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾ [الإسراء:١١١]).

والصِّفة السَّابعة والثَّلاثون: [٣٧] (المُلك)؛ قال الله تعالى: (﴿لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ﴾ [يونس:٦٨]) الآيةَ، وقال: (﴿ لَهُ ٱلۡمُلۡكُ ﴾ [التَّغابن:١]).

والصِّفة الثَّامنة والثَّلاثون، والتَّاسعة والثَّلاثون: [٣٨] (التَّبارُك)، [٣٩] و(الإنزال)؛ قال الله تعالى: (﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ﴾ [الفرقان:١])، إلى آخر الآيات المذكورة عنده.

والصِّفة الأربعون: [٤٠] صفة (الخَلْق)؛ قال الله تعالى: (﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖۖ﴾ [الأنعام:١٠١]).

والصِّفة الحادية والأربعون: [٤١] صِفة (التَّحريم)؛ قال الله تعالى: (﴿ قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ﴾ [الأعراف:٣٣]).

والصِّفة الثَّانية والأربعون: [٤٢] صفة (الاستواء)؛ قال الله تعالى: (﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ

ﭐسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه])، وقال: (﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ﴾ [الأعراف:٥٤، يونس:٣، الرعد:٢، الفرقان:٥٩، السجدة:٤، الحديد:٤]).

والصِّفة الثَّالثة والأربعون: [٤٣] صفة (التَّوفِّي)؛ قال الله تعالى: (﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ [آل عمران:٥٥]).

والصِّفة الرَّابعة والأربعون: [٤٤] صفة (الرَّفع)؛ قال تعالى: (﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ﴾ [النِّساء:١٥٨]).

والصِّفة الخامسة والأربعون: [٤٥] صفة (المَعِيَّة)؛ قال الله تعالى: (﴿وَهُوَ مَعَكُمۡ﴾ [الحديد:٤])، إلى غير ذلك من الآيات الَّتي ذكرها المصنِّف.

والصِّفة السَّادسة والأربعون، والسَّابعة والأربعون: [٤٦] صفة (الخَسْف)، [٤٧] و(الإرسال)؛ قال الله تعالى: (﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ﴾ [الملك:١٦])، وقال تعالى: (﴿أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗاۖ﴾ [الملك:١٧]).

والصِّفة الثَّامنة والأربعون: [٤٨] صفة (الإنباء)؛ قال الله تعالى: (﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْ﴾ [المجادلة:٧]).

والصِّفة التَّاسعة والأربعون: [٤٩] صفة (الصِّدق)؛ قال الله تعالى: (﴿وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا﴾ [النِّساء:١٢٢])، وقال: (﴿وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا﴾ [النِّساء:٨٧]).

والصِّفة الخمسون: [٥٠] صفة (الحديث)؛ قال تعالى: (﴿وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا﴾ [النِّساء:٨٧]).

والصِّفة الحادية والخمسون: [٥١] صفة (القِيل) و(القَول)؛ قال الله تعالى: (﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾ [النِّساء:١٢٢])، وقال تعالى: (﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾ [المائدة:١١٦])؛ و(القِيل) و(القَوْل) لغتان في هذه الصِّفة.

والصِّفة الثَّانية والخمسون: [٥٢] (الكلام)؛ قال الله تعالى: (﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام:١١٥]) إلى غير ذلك من الآيات التي ذكرها عنده.

والصِّفة الثَّالثة والخمسون، و الرَّابعة والخمسون: [٥٣] صفة (التَّقريب)، [٥٤] و(المُناجاة)؛ قال تعالى: (﴿وَقَرَّبْنَـٰهُ نَجِيًّا﴾ [مريم: ٥٢]).

والصِّفة الخامسة والخمسون: [٥٥] صفة (النِّداء)؛ قال تعالى: (﴿وَنَـٰدَيْنَـٰهُ﴾ [مريم: ٥٢])، إلى غير ذلك من الآيات.

والصِّفة السَّادسة والخمسون: [٥٦] صفة (التَّبديل)؛ قال الله تعالى: (﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ﴾ [النَّحل:١٠١]).

والصِّفة السَّابعة والخمسون: [٥٧] صفة (التَّثبيت)؛ قال الله تعالى: (﴿لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [النَّحل:١٠٢]).

والصِّفة الثَّامنة والخمسون: [٥٨] صفة (التَّجلِّي)؛ قال الله تعالى: (﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة])، وقال الله تعالى: (﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [المطفِّفين])، وقال تعالى: (﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق:٣٥])، وقال تعالى: (﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس:٢٦]).

وهؤلاء الآيات ذكرهنَّ المصنِّف لإثبات صفة التَّجَلِّي.

وذِكْر أَنَّهُنَّ جُعِلنَ هنا لإثبات رؤية المؤمنين رَبَّهم في الآخرة غلطٌ من وجهين:

❊ **أحدهما**: أَنَّ الآيات المذكورة هنا هي في صفات الخالِق، ورؤيةُ المؤمنين رَبَّهم في الآخرة هي من صفات المخلوق؛ أَنَّه يرى الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ.

❊ **والآخر**: أَنَّ المُصنِّف ذَكَر هذه المسألة في محَلِّها اللَّائق؛ وهو الإيمان باليوم الآخر.

أَمَّا الصِّفات المَنْفِيَّة الواردة في الآيات الَّتي ذكرها المصنِّف: فعِدَّتُها: ثلاثَ عشرةَ صفةً:

فالصِّفة الأُولى والثَّانية: [١] (النَّوم)، [٢] و(السِّنَة)؛ قال الله تعالى: (﴿لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ﴾ [البقرة:٢٥٥])؛ **والسِّنَة**: النُّعاس.

والصِّفة الثَّالثة: [٣] (الأَوْد)؛ قال الله تعالى: (﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ﴾ [البقرة:٢٥٥])؛ أي لا يُهِمُّه ولا يُكرِثه - كما تقدَّم.

والصِّفة الرَّابعة: [٤] (الموت)؛ قال تعالى: (﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان:٥٨]).

والصِّفة الخامسة: [٦] (الوَلد)؛ قال الله تعالى: (﴿لَمۡ يَلِدۡ﴾ [الإخلاص:٣])، وقال: (﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٖ﴾ [المؤمنون:٩١]).

والصِّفة السَّادسة: [٦] (الوِلادة)؛ قال الله تعالى: (﴿وَلَمۡ يُولَدۡ﴾ [الإخلاص:٣]).

والصِّفة السَّابعة: [٧] (الكُفْء)؛ قال الله تعالى: (﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ٤ ﴾ [الإخلاص])، و(**الكُفء**): هو المُمَاثِل.

والصِّفة الثَّامنة: [٨] (السَّمِيُّ)؛ قال الله تعالى: (﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم:٦٥])، وهو استفهامٌ استنكاريٌّ يفيد النَّفي.

والصِّفة التَّاسعة: [٩] (النِّدُّ)؛ قال الله تعالى: (﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢٢]).

والصِّفة العاشرة، والحادية عشرة: [١٠] (الشَّريك)، [١١] و(الوَليُّ)؛ قال الله تعالى: (﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ﴾ [الإسراء:١١١]).

و(**الوَلِيُّ المَنْفيُّ عن الله**) هو المُعين له الَّذي يَتَصَرَّف معه سبحانه.

والصِّفة الثَّانية عشرة: [١٢] (الإلهُ معه)؛ قال الله تعالى: (﴿وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ﴾ [المؤمنون:٩١]).

والصِّفة الثَّالثة عشرة: [١٣] (المِثْل)؛ قال الله تعالى: (﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشُّورى:١١])، وقال تعالى: (﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ﴾ [النَّحل:٧٤]).

فهؤلاء الصِّفات كُلُّها صفاتٌ مَنْفِيَّةٌ عن الله؛ يُراد منها: إثبات الكمالات المُقابِلة لها؛ **فمثلًا:** (نَفْي المِثل) المراد منه: إثبات كمال الأَحَدِيَّة، وأنَّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أَحدٌ لا مثيل له.

ولَمَّا فَرَغ المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ من سياق هذه الآيات بَيَّن أنَّ هذا (فِي كِتَابِ اللهِ كَثِيرٌ)؛

فآيات الصِّفات والأسماء مملوءٌ بِها القرآن.

وأَنَّ (مَنْ تَدَبَّرَ القُرْآنَ طَالِبًا الهُدَى مِنْهُ تَبَيَّنَ لَهُ طَرِيقُ الحَقِّ)؛ أي أَنَّ العبد إذا أقبل على القرآن وهو يُريد معرفة صفات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فإِنَّه يستدلُّ على الحقِّ؛ فصِحَّة النِّيَّة في الإقبال على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مع فَهْم كلامه وكلام رسولِه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُفتَح له به باب الفَهْم.

ومَنْ تَأَمَّل سِيرَ مَنْ تَحوَّل عن اعتقاد المخالفين إلى اعتقاد أهل السُّنَّة، يجدُ في ذلك مُثُلًا من أُناسٍ لا يُعرَف أنَّهم أخذُوا العلم عن أحدٍ مِن أهل السُّنَّة، ولكنَّهم لَمَّا اعتبَروا دِلالة القرآن والسُّنَّةِ وَجدُوا أَنَّ الحقَّ فيها.

وفي القرن الثَّانِي عشر نَشَأ فِي بلاد ما يُعرَف بـ(الاتحاد السُّوفييتي) رجلٌ اسمُه (عبد النَّصير)؛ صَنَّف كتابًا اسمه «الرَّدُّ على شَرْح العقائد النَّسَفِيَّة»؛ وزَيَّف فيه طريقة الأشاعرة والمَاتُريديَّة، مع أَنَّ هذا الرَّجُل لا يُعرَف أَنَّه رَحَلَ خارج بلادِه، ولا أَخَذَ هذا العلم عن أحدٍ من أهل السُّنَّة والحديث، ولكنَّ إقبالَه على القرآنِ والحديثِ فَتَحَ له باب الفَهْم فِي أَنَّ المقصودَ من هذا الباب وطريقةُ الشَّرع فيه هي الطَّريقةُ المذكورة في الكتاب والسُّنَّة.

وهذا شاهد الحال فيما قرأْنا من الآيات الَّتي ذكرها المُصنِّف: أَنَّ مَنْ أقبلَ عليها مُرِيدًا الحَق بفَهْم كلام العربِ، فإِنَّه يفهم ما ذكرْناه من الكلام.

وهو الَّذي فَهِمه السَّلف رَحِمَهُمُ اللَّهُ.

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

ثُمَّ سُنَّةُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تُفَسِّرُ القُرْآنَ، وَتُبَيِّنُهُ، وَتَدُلُّ عَلَيْهِ، وَتُعَبِّرُ عَنْهُ.

وَمَا وَصَفَ الرَّسُولُ بِهِ رَبَّهُ مِنَ الأَحَادِيثِ الصِّحَاحِ الَّتِي تَلَقَّاهَا أَهْلُ المَعْرِفَةِ بِالقَبُولِ؛ وَجَبَ الإِيمَانُ بِهَا كَذَلِكَ؛ مِثْلُ قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يَنْزِلُ رَبُّنَا إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا كُلَّ لَيْلَةٍ حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ؛ فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ؛ مِنْ أَحَدِكُمْ بِرَاحِلَتِهِ...**». الحَدِيثَ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يَضْحَكُ اللهُ إِلَى رَجُلَيْنِ يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الآخَرَ؛ يَدْخُلَانِ الجَنَّةَ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**عَجِبَ رَبُّنَا مِنْ قُنُوطِ عِبَادِهِ، وَقُرْبِ غِيَرِهِ، يَنْظُرُ إِلَيْكُمْ أَزِلِينَ قَنِطِينَ، فَيَظَلُّ يَنْظُرُ إِلَيْكُمْ يَضْحَكُ: يَعْلَمُ أَنَّ فَرَجَكُمْ قَرِيبٌ**». حَدِيثٌ حَسَنٌ.

وَقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا تَزَالُ جَهَنَّمُ يُلْقَى فِيهَا، وَتَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ؟! حَتَّى يَضَعَ رَبُّ العِزَّةِ فِيهَا قَدَمَهُ** - وَفِي رِوَايَةٍ: **عَلَيْهَا قَدَمَهُ** -، **فَيَنْزَوِي بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، وَتَقُولُ: قَطٍ قَطٍ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَقَوْلِهِ: «**يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لِآدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَا آدَمُ؛ فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، فَيُنَادِي بِصَوْتٍ: إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُخْرِجَ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ بَعْثًا إِلَى النَّارِ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَقَوْلِهِ: «**مَا مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ حَاجِبٌ وَلَا تُرْجُمَانٌ**».

وَقَوْلِهِ – فِي رُقْيَةِ المَرِيضِ –: «رَبَّنَا اللهُ الَّذِي فِي السَّمَاءِ، تَقَدَّسَ اسْمُكَ، أَمْرُكَ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، كَمَا رَحْمَتُكَ فِي السَّمَاءِ؛ اجْعَلْ رَحْمَتَكَ فِي الأَرْضِ، اغْفِرْ لَنَا حُوبَنَا وَخَطَايَانَا، أَنْتَ رَبُّ الطَّيِّبِينَ، أَنْزِلْ رَحْمَةً مِنْ رَحْمَتِكَ، وَشِفَاءً مِنْ شِفَائِكَ عَلَى هَذَا الوَجِعِ؛ فَيَبْرَأَ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ.

وَقَوْلِهِ: «أَلَا تَأْمَنُونِي! وَأَنَا أَمِينُ مَنْ فِي السَّمَاءِ». رَوَاهُ البُخَارِيُّ وَغَيْرُهُ.

وَقَوْلِهِ: «وَالعَرْشُ فَوْقَ ذَلِكَ، وَاللهُ فَوْقَ عَرْشِهِ، وَهُوَ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرمِذِيُّ وَغَيْرُهُمَا.

وَقَوْلِهِ لِلْجَارِيَةِ: «أَيْنَ اللهُ؟»، قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ، قَالَ: «مَنْ أَنَا؟»، قَالَتْ: أَنْتَ رَسُولُ اللهِ، قَالَ: «أَعْتِقْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

وَقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَفْضَلُ الإِيمَانِ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ اللهَ مَعَكَ حَيْثُمَا كُنْتَ». حَدِيثٌ حَسَنٌ.

وَقَوْلِهِ: «إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ إِلَى الصَّلَاةِ؛ فَإِنَّ اللهَ قِبَلَ وَجْهِهِ، فَلَا يَبْصُقَنَّ قِبَلَ وَجْهِهِ، وَلَا عَنْ يَمِينِهِ، وَلَكِنْ عَنْ يَسَارِهِ، أَوْ تَحْتَ قَدَمِهِ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ، وَرَبَّ الأَرْضِ، وَرَبَّ العَرْشِ العَظِيمِ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، فَالِقَ الحَبِّ وَالنَّوَى، مُنَزِّلَ التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالفُرْقَانِ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ دَابَّةٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا، أَنْتَ الأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ البَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ؛ اقْضِ عَنِّي الدَّيْنَ، وَأَغْنِنِي مِنَ الفَقْرِ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَقَوْلِهِ لَـمَّا رَفَعَ أَصْحَابُهُ أَصْوَاتَهُمْ بِالذِّكْرِ: «أَيُّهَا النَّاسُ؛ ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا، إِنَّمَا تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا، إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَهُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَتِهِ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ

وَقَوْلِهِ: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ القَمَرَ لَيْلَةَ البَدْرِ، لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَلَّا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ، وَصَلَاةٍ قَبْلَ غُرُوبِهَا؛ فَافْعَلُوا». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

إِلَى أَمْثَالِ هَذِهِ الأَحَادِيثِ الَّتِي يُخْبِرُ فِيهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عَنْ رَبِّهِ بِمَا يُخْبِرُ بِهِ؛ فَإِنَّ الفِرْقَةَ النَّاجِيَةَ أَهْلَ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ يُؤْمِنُونَ بِذَلِكَ؛ كَمَا يُؤْمِنُونَ بِمَا أَخْبَرَ اللهُ بِهِ فِي كِتَابِهِ؛ مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلَا تَعْطِيلٍ، وَمِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلَا تَمْثِيلٍ، بَلْ هُمُ الوَسَطُ فِي فِرَقِ الأُمَّةِ، كَمَا أَنَّ الأُمَّةَ هِيَ الوَسَطُ فِي الأُمَمِ[(١)].

قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللهُ:

لَمَّا فَرَغَ المُصَنِّف رَحِمَهُٱللَّهُ مِن ذِكْرِ الآياتِ القُرآنِيَّة المُشتمِلة على آياتِ الصِّفات، أَتْبعها بالأحاديث النَّبوِيَّة الواردةِ عن النَّبيِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في هذا الباب؛ لأَنَّ السُّنَّة وَحيٌ كالقرآن.

واستَفْتَح رَحِمَهُٱللَّهُ بيانَه بقوله: (ثُمَّ سُنَّةُ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ تُفَسِّرُ القُرْآنَ، وَتُبَيِّنُهُ،

---

(١) إلىٰ هنا تمام المجلس الأوَّل، وكان بعد عصر الاثنين الرَّابع والعشرين من شهر ربيع الآخر، سنة أربعين بعد الأربعمائة والألف، ومدَّته: ساعةٌ وثمانٍ وثلاثون دقائق.

وَتَدُلُّ عَلَيْهِ، وَتُعَبِّرُ عَنْهُ).

فعلائق اتِّصال القُرآن بالسُّنَّة أربعٌ:

- **أَوَّلها**: تفسير السُّنَّة للقرآن.
- **وثانيها**: تَبْيين السُّنَّة للقُرآن.
- **وثالثها**: دِلالة السُّنَّة على القرآن.
- **ورابعها**: تعبير السُّنَّة عن القرآن.

والعِلاقتان الأُولى والثَّانية مِن جنسٍ واحدٍ؛ فهما مُتَّصلَتان فِي معناهما.

والعِلاقتان الثَّالثة والرَّابعة من جنسٍ واحد؛ فَهُما مُتَّصلتان في معناهما.

وبين كُلِّ جنسٍ فَرْقٌ؛ فالفَرْقُ بين الأُولى والثَّانية:

- **أَنَّ الأُولى**: تَتَعلَّق بالإيضاح التَّفصيليِّ.
- **والثَّانية**: تتعلَّق بالإيضاح الكُلِّيِّ.

فإذا قيل: (السُّنَّة تُفَسِّر القرآن)؛ أي تُوَضِّحه تفصيلًا.

وإذا قيل: (السُّنَّة تُبَيِّن القرآن)؛ أي تُوَضِّحه إجمالًا على وَجْهٍ كُلِّيٍّ.

والفَرْق بين الثَّالثة والرَّابعة:

- **أَنَّ الثَّالثة**: تتضمَّن مجيء السُّنَّة بنظيرِ ما جاء به القرآنُ.
- **وأَنَّ الرَّابعة**: تتضمَّن مجيء السُّنَّة بمثلِ ما جاء به القرآنُ.

فمن المرتبة الثَّالثة: مجيء السُّنَّة بـ(النُّزول)؛ وهو يُشارك في الباب أصل (الإتيان) و(المجيء) الواردان في القرآن.

ومن الرَّابع: مجيء السُّنَّة بـ(إثبات اليد) لله كمَجيئها في القرآن.

وتَقدَّم أنَّ المصنِّف ذَكَر من أدلة السُّنَّة سِتَّة عشر حديثًا، وكُلُّها في «الصَّحيحين» اتِّفاقًا أو انفرادًا، **سوى أربعة أحاديث**:

أَوَّلها: قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**«عَجِبَ رَبُّنَا مِنْ قُنُوطِ عِبَادِهِ وَقُرْبِ غِيَرِهِ...»**) الحديثَ. رواه ابن ماجهْ من حديثِ أبي رَزِينٍ العَقيليِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وفيه ضَعْفٌ.

والمشهور في لَفظه: «**ضَحِكَ رَبُّنَا مِنْ قُنُوطِ عِبَادِهِ وَقُرْبِ غِيَرِهِ، يَنْظُرُ إِلَيْكُم أَزِلِينَ...**». الحديثَ.

ولم يَرْوِه أحدٌ مُسندًا بلفظ: «**عَجِبَ**».

وأشار إلى فَقْدِه بِهذا اللَّفظ: الألبانيُّ رَحِمَهُ اللهُ.

وقوله في الحديث: (**«غِيَرِهِ»**)؛ أي تغييراته من حالٍ إلى حالٍ.

وقوله فيه: (**«أَزِلِينَ»**)؛ أي في ضيقٍ وشِدَّةٍ.

ويُرْوى بِمَدٍّ وبغير مَدٍّ؛ فيقال: (آزِلين)، ويُقال: (أَزِلين).

والثَّاني: (**قَوْلُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي رُقْيَةِ المَرِيضِ -: «رَبَّنَا اللهَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ...»**) الحديثَ. رواه أبو داودَ من حديث أبي الدَّرداء رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وإسناده ضعيفٌ.

والثَّالث: (**قَوْلُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَالعَرْشُ فَوْقَ ذَلِكَ، وَاللهُ فَوْقَ عَرْشِهِ، وَهُوَ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ والتِّرْمِذِيُّ**) في عَزْو المُصنِّف.

وهو يُريد حديث العبَّاس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ؛ صَرَّح به في «مُناظرة الواسطيَّة» وفي «الحَمويَّة».

وليس هو عند أبي داودَ والتِّرمذيِّ بِهذا اللَّفظ، بل هو عندهما بلفظٍ آخر.

واللَّفظ المذكور هو من حديث ابن مسعودٍ عند ابن خزيمةَ في كتاب «التَّوحيد»، والطَّبرانِيِّ في «المعجم الكبير»، وإسناده حسنٌ.

ومثلُه لا يُقَال من قِبَل الرَّأي؛ فهو موقوفٌ من كلام ابن مسعودٍ، وله حُكم الرَّفع، وتَقَدَّم في شَرْح «كتاب التَّوحيد» في الباب الأخير.

والرَّابع: (قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَفْضَلُ الإِيمَانِ...**») الحديث؛ رواه الطَّبرانِيُّ في «المعجم الأوسط» و«الكبير» مِن حديث عُبادةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وإسناده ضعيفٌ.

والأحاديث الصَّحيحة تُغني عن الضِّعاف.

وأَوْرَد المصنِّف تلك الأحاديث؛ لأَنَّها صحيحةٌ عنده؛ فإنَّه قال قبل سَوْقها: (وَمَا وَصَفَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهِ رَبَّهُ مِنَ الأَحَادِيثِ الصِّحَاحِ الَّتِي تَلَقَّاهَا أَهْلُ المَعْرِفَةِ بِالقَبُولِ)، ثُمَّ ذَكَرها.

ومُراده بـ(الصَّحيح): ما يندرج فيه الحَسَن.

فإنَّ مِن أهل العلم مَنْ يُريد بـ(الحديث الصَّحيح): الحديثَ المقبولَ؛ فيندرج فيه الصَّحيحُ والحَسنُ معًا.

فقوله هنا: (مِنَ الأَحَادِيثِ الصِّحَاحِ)؛ أي الثَّابتة المقبولة، فمنها: ما هو صحيحٌ، ومنها: ما هو حَسَنٌ.

وعَزْوُه إلى أهل المعرفة تَلَقِّي هذه الأحاديث بالقبولِ مع ضَعْف بعضها عند بعضهم محمولٌ على أمرين:

* **أحدهما**: إرادةُ مجموعِها، لا جميعها؛ فمجموع هذه الأحاديث هو في حَيِّز القَبُول، ويكون فيها أشياءُ ضَعَّفها مَنْ ضَعَّفها - كما ذكرْنا.

* **والآخر**: إرادةُ قبولِ سَرْدِها في أحاديثِ الصِّفات؛ بأَنْ تُذْكَرَ في أحاديث الصِّفات مع ضَعْفِها؛ لثبوت أصلِ معنَاها.

وهذه هي طريقة أهل السُّنَّة والحديثِ المُصَنِّفين فِي الاعتقاد؛ كأبي بكرٍ الآجريِّ، وابن بَطَّةَ، واللَّالكائيِّ، وابن مَنده، في جماعةٍ آخرين.

فإنَّهم يذكرُون الضِّعافَ في البابِ - وقد يُصَرِّحون بضَعْفِها -؛ لأَنَّهم يجعلونها تابعةً لِمَا صَحَّ.

بَقِي التَّنبيه إلى أَنَّ لفظ («حَاجِبٌ») في حديث عَدِيٍّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: («مَا مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ حَاجِبٌ وَلَا تُرْجُمَانٌ»)، أَنَّه ثابتٌ في النُّسخة المقروءة على المُصنِّف من هذه «العقيدة»، وهي رواية الكُشْميهنيِّ لـ«صحيح البخاريِّ».

فالمشهور في لفظه: «**لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ حِجَابٌ**»، ووقع في رواية الكُشميهنيِّ للبخاريِّ: «**لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ حَاجِبٌ**».

وَاسْم الإشارة (ذَلِكِ) في قوله: (وَجَبَ الإيمَانُ بِهَا كَذَلِكَ) عائدٌ على قوله أَوَّلًا: (مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلَا تَعْطِيلٍ، وَمِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلَا تَمْثِيلٍ).

فيُؤمَنْ بما جاء فيها من الأسماء والصِّفات إيمانًا كالإيمان المُتَقَدِّم ذِكْرُه عند مُقَدِّمة هذه العقيدةِ في ذِكْر القواعد.

وهذه الأَدِلَّة الحديثِيَّة الَّتي ذكرَها اشتملت على أسماءٍ وصفاتٍ إلهِيَّةٍ.

وَعِدَّة الأسماء الإلهِيَّة الواردة في هذه الأحاديث: تسعة عشر اسمًا:

الأوّل: [١] (الرَّبُّ)؛ لقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: («يَنْزِلُ رَبُّنَا»)، وقوله: («عَجِبَ رَبُّنَا»)، إلى غيرها من الأحاديث.

والاسم الثَّاني: [٢] (الله)؛ لقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: («لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا»)، وقوله: («يَضْحَكُ اللهُ»).

والاسم الثَّالث: [٣] (رَبُّ العِزَّة)؛ لقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: («حَتَّى يَضَعَ رَبُّ الْعِزَّةِ»)× أي صاحب العِزَّة؛ وهي صفةٌ لله.

والاسم الرَّابع: [٤] (رَبُّ الطَّيِّبين)؛ لقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: («أَنْتَ رَبُّ الطَّيِّبِينَ»)، ولا يصحُّ في هذا الاسم دليلٌ ثابت.

والاسم الخامس: [٥] (رَبُّ السَّماوات السَّبع).

والاسم السَّادس: [٦] (رَبُّ الأرض).

والاسم السَّابع: [٧] (رَبُّ العرش العظيم).

والاسم الثَّامن: [٨] (رَبُّ كُلِّ شيء).

والاسم التَّاسع: [٩] (فالِقُ الحَبِّ).

والاسم العاشر: [١٠] (فَالق النَّوى).

والاسم الحادي عشر: [١١] (مُنزِل التَّوراة)؛ ويجوز تشديدُه فيُقال: (مُنَزِّل التَّوراة).

والاسم الثَّاني عشر: [١٢] (مُنزِل الإنجيل)؛ ويجوز تشديده أيضًا.

والاسم الثَّالث عشر: [١٣] (مُنزِل الفُرقان)؛ ويجوز تشديدُه أيضًا.

وهذه الأسماء كُلُّها في حديثٍ واحدٍ: («اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ، وَرَبَّ الأَرْضِ، وَرَبَّ العَرْشِ العَظِيمِ»)، إلى آخر الحديث.

وهي جميعًا من الأسماء الإلهيَّة المُضافة.

والاسم الرَّابع عشر، والخامس عشر، والسَّادس عشر، والسَّابع عشر: [١٤] (الأوَّل)، [١٥] و(الآخر)، [١٦] و(الظَّاهر)، [١٧] و(الباطن)، وأربعتُها في حديثٍ واحدٍ؛ وهو قوله: («أَنْتَ الأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ...») إلى تمام الحديث.

والاسم الثَّامن عشر: [١٨] (السَّميع).

والاسم التَّاسع عشر: [١٩] (القريب).

وهما في قوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: («إِنَّمَا تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا»).

وهذه الأسماء الإلهيَّة التِّسعة عشر تتضمَّن إحدى عَشْرَة صفةً إلهيَّةً؛ هي: [١] (الألوهيَّة)، [٢] و(الرُّبوبيَّة)، [٣] و(العِزَّة)، [٤] و(الفَلْق) - وهو الشَّقُّ -، [٥] و(الإنزال)، [٦] و(الأوَّليَّة)، [٧] و(الآخِريَّة)، [٨] و(الظُّهور)، [٩] و(البُطون)، [١٠] و(السَّمع)، [١١] والقُرْب).

ووَجْه استفادتها: هو من الأسماء الإلهيَّة المُتَقَدِّمة - كما سَبَق بيان قاعدته.

وذَكَر المصنِّف رَحِمَهُٱللَّهُ أحاديث تشتمِلُ على صفاتٍ إلهيَّةٍ زائدةٍ عن الصِّفات الإلهيَّة الواردة في الأسماء.

وعِدَّة تلك الصِّفات الإلهِيَّة الواردة في غير الأسماء المُتَقدِّمة: ثلاثٌ وعشرون صفةً:

الأُولى: [١] (النُّزول)؛ لقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: («يَنْزِلُ رَبُّنَا»).

والثَّانية، والثَّالثة، والرَّابعة: [٢] (الاستجابة)، [٣] و(الإعطاء)، [٤] و(المغفرة)؛ في قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: («يَنزِلُ رَبُّنَا») حَتَّى قال: («فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟»).

والصِّفة الخامسة: [٥] (الفَرح)؛ لقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: («لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا»).

والصِّفة السَّادسة: [٦] (الضَّحك)؛ قال الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: («يَضْحَكُ اللهُ إِلَى رَجُلَيْنِ»).

والصِّفة السَّابعة، والثَّامنة، والتَّاسعة: [٧] (العَجَب)، [٨] و(النَّظر)، [٩] و(العلم)؛ وكلُّها في قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: («عَجِبَ رَبُّنَا») حَتَّى قال: («يَنْظُرُ إِلَيْكُمْ أَزِلِينَ»)، ثُمَّ قال: («يَعْلَمُ أَنَّ فَرَجَكُمْ قَرِيبٌ»).

وكُلُّ هذه الصِّفات مِمَّا تَقدَّم أنَّه ثابتٌ في آياتٍ أو أحاديث صحيحةٍ عن النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ سِوَى صفة (العَجَب).

ودليلها في القرآن: قوله تعالى: ﴿بَلْ عَجِبْتُ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الصَّافَّات]، على قراءة الضَّمِّ؛ وهي قراءةُ حمزةَ والكِسائيِّ وخَلَفٍ العاشر، مع قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قَدْ عَجِبَ اللهُ مِنْ صَنِيعِكُمَا اللَّيْلَةَ». متَّفقٌ عليه.

والصِّفة العاشرة: [١٠] (القَدَم)؛ قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: («حَتَّى يَضَعَ رَبُّ العِزَّةِ فِيهَا قَدَمَهُ - وَفِي رِوَايَةٍ: عَلَيْهَا قَدَمَهُ -»).

والصِّفة الحادية عشرة: [١١] (الوَضْع)؛ قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: («حَتَّى يَضَعَ رَبُّ العِزَّةِ») الحديث.

والصِّفة الثَّانية عشرة، والثَّالثة عشرة، والرَّابعة عشرة: [١٢] (القَوْل)، [١٣] و(النِّداء)، [١٤] و(الصَّوت)؛ قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: («يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لِآدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَا آدَمُ؛ فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، فَيُنَادِي بِصَوْتٍ»)؛ أي يُنادي الله بصوتٍ.

والصِّفة الخامسة عشرة: [١٥] (الكلام)؛ قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: («مَا مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ»).

والصِّفة السَّادسة عشرة، والسَّابعة عشرة: [١٦] (العُلُوُّ)، [١٧] و(الفَوْقِيَّة)؛ قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: («رَبُّنَا اللهُ الَّذِي فِي السَّمَاءِ»)، وقال: («وَاللهُ فَوْقَ عَرْشِه»)، إلى غير ذلك من الأحاديث.

والصِّفة الثَّامنة عشرة، والتَّاسعة عشرة، والعشرون: [١٨] (الأمر)، [١٩] و(الرَّحمة)، [٢٠] و(الشِّفاء)؛ قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (- فِي رُقْيَةِ المَرِيضِ -): («أَمْرُكَ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، كَمَا رَحْمَتُكَ فِي السَّمَاءِ؛ اجْعَلْ رَحْمَتَكَ فِي الأَرْضِ»)، وفيها: («أَنْزِلْ رَحْمَةً مِنْ رَحْمَتِكَ، وَشِفَاءً مِنْ شِفَائِكَ»).

وهذه الصِّفات الثَّلاث ثابتةٌ في أدِلَّة صحيحة.

والصِّفة الحادية والعشرون: [٢١] (المَعِيَّة)؛ لقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: («أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ اللهَ مَعَكَ»)، إلى غير ذلك من الأحاديث الَّتي ذَكَرها.

والصِّفة الثَّانية والعشرون: [٢٢] صفة (الأَخْذ)؛ قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: («أَنْتَ آخِذٌ

بِنَاصِيَتِهَا»).

والصِّفة الثَّالثة والعشرون: [٢٣] صفة (التَّجلِّي)؛ قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: («إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ»)، ورؤية الخَلْق لله تكون بِتَجَلِّيه لهم - سبحانه -، ووقَع التَّصريح بِها في «صحيح مسلمٍ» في قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا ذَكَر رؤية المؤمنين رَبَّهم قال: «**فَيَتَجَلَّى لَهُمْ يَضْحَكُ**».

أَمَّا الصِّفات المَنفِيَّة المذكورة في تلك الأحاديث: فهي صفتان:

- [١] نَفْي (الصَّمم).
- [٢] ونَفْي (الغياب).

قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: («**فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا**»).

والمقصود من النَّفي - كما تَقدَّم -: إثبات مُقابلها من الكمال، فَبِـ(نَفْي الصَّمم): إثباتُ سَمْع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وبِـ(نَفْي الغياب): إثبات مَعِيَّة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

ولَمَّا فَرَغ المصنِّف مِن سَرْد هذه الأحاديث ذَكَر أَنَّ غيرها من الأحاديث له حُكمُها؛ فيُؤمِن أهل السُّنَّة والجماعة بِها (مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلَا تَعْطِيلٍ، وَمِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلَا تَمْثِيلٍ).

وتلك الطَّريقة الَّتي جَرَوا عليها هي الوَسَطُ بين فِرَق الأُمَّة؛ فَهُم وَسَطٌ بين تلك الفِرَق (كَمَا أَنَّ الأُمَّةَ هِيَ الوَسَطُ فِي الأُمَمِ)، وسيأتي بيان ذلك.

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

فَهُمْ وَسَطٌ فِي بَابِ صِفَاتِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: بَيْنَ أَهْلِ التَّعْطِيلِ الجَهْمِيَّةِ، وَبَيْنَ أَهْلِ التَّمْثِيلِ الْمُشَبِّهَةِ.

وَهُمْ وَسَطٌ فِي بَابِ أَفْعَالِ اللهِ تَعَالَى: بَيْنَ القَدَرِيَّةِ وَالجَبْرِيَّةِ.

وَفِي بَابِ وَعِيدِ اللهِ: بَيْنَ المُرْجِئَةِ وَبَيْنَ الوَعِيدِيَّةِ مِنَ القَدَرِيَّةِ وَغَيْرِهِمْ.

وَفِي بَابِ الإِيمَانِ وَالدِّينِ: بَيْنَ الحَرُورِيَّةِ وَالمُعْتَزِلَةِ، وَبَيْنَ المُرْجِئَةِ وَالجَهْمِيَّةِ.

وَفِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: بَيْنَ الرَّوَافِضِ وَبَيْنَ الخَوَارِجِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللهُ:

لَمَّا فَرَغ المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ من تقرير أَنَّ أهل السُّنَّة والجماعة وَسَطٌ بين فِرَق الأُمَّة في آخر الجملة المُتقدِّمة، شَرَعَ يُبيِّن تحقيق وَسَطِيَّتهم **بِذِكْر خمسةِ أصولٍ جامعةٍ**:

۞ **أَوَّلُها: باب أسماء الله وصفاته**؛ فَهُم فيها وَسَطٌ بين (أَهْلِ التَّعْطِيلِ) المُنكرين لها، و(أَهْلِ التَّمْثِيلِ) المبالغين في إثباتِها بِذِكْر مُماثِلها.

۞ **وثانيها: باب القَدَر**؛ المُشار إليه بقوله: (بَابِ أَفْعَالِ اللهِ)؛ فَهُم وَسَطٌ فيه بين (القَدَرِيَّةِ) الزَّاعمين أَنَّ العبد يخلق فِعْلَه وأَنَّ الله لم يُقَدِّره، و(الجَبْرِيَّةِ) الزَّاعمين أَنَّ العبد مجبورٌ على فِعْله لا اختيارَ له.

۞ **وثالثها: باب الوعيد بالعذاب والعقاب**؛ فَهُم وَسَطٌ فيه بين (المُرْجِئَةِ) الزَّاعمين

أَنَّ فاعل الكبيرةِ لا يدخل النَّار ولا يستحقُّ ذلك، وبين (الوَعِيدِيَّةِ) الَّذين يُنفِذون الوعيد؛ أي يُمْضُونه فلا يَتَخلَّف بحالٍ، ويقولون: فاعل الكبيرة مُخَلَّدٌ في النَّار.

۞ **ورابعها: باب أسماء الإيمان والدِّين؛** فَهُم وَسَطٌ بين (الحَرُورِيَّةِ) وَهُم الخوارج (وَالمُعْتَزِلَةِ) الَّذين يُخرِجون صاحب الكبيرة من الإيمان، وبين (المُرْجِئَةِ وَالجَهْمِيَّةِ) الَّذين يجعلون فاعل الكبيرة مؤمنًا كاملَ الإيمان.

ومِمَّا يُنَبَّه إليه: أَنَّ الخوارج والمعتزلةَ وإِنِ اشتركوا في إخراج فاعل الكبيرة من الإيمان، **فَهُم يختلفون في صِفة إخراجه:**

- **فالخوارج:** تُخرِجه بالكبيرة من الإسلام إلى الكُفر.
- **والمُعتزلة:** يُخرِجونه من الإسلام ولا يُدخِلونه الكُفر، ويجعلونه فيما سَمَّوه (المنزلةَ بين المنزلتين).

ثُمَّ تجتمعُ الطَّائفتان على أَنَّه فِي الآخرة مُخَلَّدٌ في النَّار.

۞ **وخامسها: باب أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛** فَهُم وَسَطٌ فيه بين (الرَّوَافِضِ) الَّذين بالغوا في حُبِّ بعض أصحاب النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِن آله وغَلوا فيهم، وبين (الخَوَارِجِ) النَّاصبيَّة الَّذين بالغوا في بُغْض بعض أصحاب النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسَبِّهم وكَفَّروا مَنْ كَفَّروا منهم.

وخَصَّ المُصَنِّف هذه الأبواب الخمسة بالذِّكْر لأمرين:

- **أحدهما:** جلالة موقعها من الدِّين؛ فهي مِن أَهَمِّ مُهِمَّاته وأعظمِ أصوله.
- **والآخر:** كَثرةُ النِّزاع فيها بين أهل الحَقِّ والمُخالفين.

والمـراد بـ(الوَسَطِيَّة المُقَـرَّرة في هـذه الأصـول الخمسـة): أَنَّ أهـل السُّـنَّة والجماعـة عُدولٌ خِيارٌ، مُستقيمون على دين الإسلام بلا إفراطٍ ولا تفريطٍ.

فـ (الوَسطِيَّة) تجمع أمرين:

- **أحدهما**: الاستقامة على دين الإسلام.
- **والآخر**: البراءة من الإفراط والتَّفريط.

وهذه هي الوَسَطِيَّة الممدوحة شرعًا.

أَمَّا إطلاق الوَسطِيَّة بمعنى (مُلاينة الخَلْقِ في تَرْك الحقِّ): فهذا معنًى باطلٌ.

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَقَدْ دَخَلَ فِيمَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ الإِيمَانِ بِاللهِ: الإِيمَانُ بِمَا أَخْبَرَ اللهُ بِهِ فِي كِتَابِهِ، وَتَوَاتَرَ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَجْمَعَ عَلَيْهِ سَلَفُ الأُمَّةِ؛ مِنْ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فَوْقَ سَمَاوَاتِهِ، عَلَى عَرْشِهِ، عَلِيٌّ عَلَى خَلْقِهِ، وَهُوَ - سُبْحَانَهُ - مَعَهُمْ أَيْنَمَا كَانُوا، يَعْلَمُ مَا هُمْ عَامِلُونَ؛ كَمَا جَمَعَ بَيْنَ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾﴾ [الحديد].

وَلَيْسَ مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ [الحديد:٤] أَنَّهُ مُخْتَلِطٌ بِالخَلْقِ؛ فَإِنَّ هَذَا لَا تُوجِبُهُ اللُّغَةُ، وَهُوَ خِلَافُ مَا أَجْمَعَ عَلَيْهُ سَلَفُ الأُمَّةِ، وَخِلَافُ مَا فَطَرَ اللهُ عَلَيْهِ الخَلْقَ؛ بَلِ القَمَرُ آيَةٌ مِنْ آيَاتِ اللهِ مِنْ أَصْغَرِ مَخْلُوقَاتِهِ، وَهُوَ مَوْضُوعٌ فِي السَّمَاءِ، وَهُوَ مَعَ المُسَافِرِ أَيْنَمَا كَانَ، وَهُوَ - سُبْحَانَهُ - فَوْقَ العَرْشِ، رَقِيبٌ عَلَى خَلْقِهِ، مُهَيْمِنٌ عَلَيْهِمْ، مُطَّلِعٌ إِلَيْهِمْ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مَعَانِي رُبُوبِيَّتِهِ.

وَكُلُّ هَذَا الكَلَامِ الَّذِي ذَكَرَهُ اللهُ - مِنْ أَنَّهُ فَوْقَ العَرْشِ وَأَنَّهُ مَعَنَا - حَقٌّ عَلَى حَقِيقَتِهِ، لَا يَحْتَاجُ إِلَى تَحْرِيفٍ، وَلَكِنْ يُصَانُ عَنِ الظُّنُونِ الكَاذِبَةِ.

وَدَخَلَ فِي ذَلِكَ: الإِيمَانُ بِأَنَّهُ قَرِيبٌ مِنْ خَلْقِهِ؛ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة]، وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَهُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَتِهِ».

وَمَا ذُكِرَ فِي الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مِنْ قُرْبِهِ وَمَعِيَّتِهِ لَا يُنَافِي مَا ذُكِرَ مِنْ عُلُوِّهِ وَفَوْقِيَّتِهِ؛ فَإِنَّهُ - سُبْحَانَهُ - لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ فِي جَمِيعِ نُعُوتِهِ، وَهُوَ عَلِيٌّ فِي دُنُوِّهِ، قَرِيبٌ فِي عُلُوِّهِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللهُ:

ذَكَر المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذه الجُملة أَنَّ (مِنَ الإِيمَانِ بِاللهِ): الإيمان بِعُلُوِّه، ومَعِيَّته؛ فهو - سبحانه - فوق (عَرْشِهِ، عَلِيٌّ عَلَى خَلْقِهِ، وَهُوَ مَعَهُمْ أَيْنَمَا كَانُوا).

وهاتان الصِّفتان مِن جملة الصِّفات الإلهِيَّة المُتَقَدِّمة.

وأفردهما المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ إجلالًا لهما؛ لِمَا احْتَفَّ بِهما من مخالفة أهل البدع الضَّالَّة، ومُناقضة أهل الأهواء العاطلة، مِن نُفاة عُلُوِّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - كالجهميَّة ومَنْ تَبعهم -، ومِن دُعاة الحلول والاتِّحاد الزَّاعمين أَنَّ الله مُمتزِجٌ بخَلْقه غير بائنٍ منهم - تعالى الله عَمَّا يقوله الأفَّاكون عُلُوًّا كبيرًا.

ولا يُراد بالمَعِيَّة أَنَّ الله عَزَّوَجَلَّ (مُخْتَلِطٌ بِالخَلْقِ)؛ فهذا (لَا تُوجِبُهُ اللُّغَةُ) الَّتي خُوطبنا بها في القرآن، كما أنَّه (خِلَافُ مَا أَجْمَعَ عَلَيْهُ سَلَفُ الأُمَّةِ، وَخِلَافُ مَا فَطَرَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ عَلَيْهِ الخَلْقَ).

فالتَّوَهُّم المذكور مَردودٌ بأصولٍ ثلاثةٍ:

* **أَوَّلها**: أَنَّ هذا لا تُوجِبه اللُّغة العربِيَّة الَّتي خُوطِبنا بِها في الشَّرع؛ فإِنَّ الإنسان يقول: (سَرَيْتُ والقمَرُ معي) من غير اختلاطٍ بينهما؛ أي مَشَيْتُ ليلًا والقمرُ معي، ولا يُوجِب

ذلك اختلاطًا بينهما؛ فالماشي في الأرضِ، والقمرُ في السَّماء.

* **وثانيها**: أنَّه خلاف ما أجمع عليه سَلَف الأُمَّة.

* **وثالثها**: أنَّه خلاف ما فطَر الله عَزَّوَجَلَّ عليه الخَلْق كافَّةً، فالخَلْق مَفْطُورون على التَّوجُّه إلى جهة العُلُوِّ.

ثُمَّ ذَكَر أَنَّ كَوْن الله (فَوْقَ العَرْشِ وَأَنَّهُ مَعَنَا، حَقٌّ عَلَى حَقِيقَتِهِ، لَا يَحْتَاجُ إِلَى تَحْرِيفٍ، وَلَكِنْ يُصَانُ عَنِ الظُّنُونِ الكَاذِبَةِ)؛ فهو حَقٌّ على حقيقتِه بما يُعرَف من اللِّسان العربيِّ، مع الصِّيانة عن الظُّنون الكاذبة؛ مثل: أَنْ يُظَنَّ أَنَّ ظاهرَ قوله: (في السَّماء): أَنَّ السَّماء تُقِلُّه - أي تحمله -، أو تُظِلُّه - أي تُغطِّيه وتكونُ فوقه -؛ فهذا باطلٌ بإجماع أهل العلم والإيمان.

ثُمَّ ذَكَر أَنَّه يدخل في ذلك: إثباتُ أَنَّه سبحانه (قَرِيبٌ مِنْ خَلقِهِ)، وأَنَّ (قُرْبَهُ وَمَعِيَّتَهُ لَا يُنَافِي مَا ذُكِرَ مِنْ عُلُوِّهِ وَفَوْقِيَّتِهِ).

بل الأمرُ كما قال المصنِّف: (عَلِيٌّ فِي دُنُوِّهِ، قَرِيبٌ فِي عُلُوِّهِ)؛ أي أَنَّه وإِنْ اعتقدْنا أَنَّه قريبٌ، فإِنَّنا نعتقدُ أَنَّه مع قُرْبه فهو سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ عَلِيٌّ، وأَنَّنا إذا اعتقدْنا عُلُوَّه فإِنَّا نعتقد أيضًا قُربَه.

و(القُرْب) المذكور في الصِّفات الإلهِيَّة مُخْتَصٌّ بالمؤمنين، بخلاف (المَعِيَّة):

- **فإِنَّ (المَعيَّة)**: تكون لأهل الإيمان وأهل الكُفران.
- **وأَمَّا (القُرْب)**: فيختَصُّ بالمؤمنين؛ فهو حقيقةُ اصطفائهم واستخلاصهم من دون الخَلْق، أَنْ يكون لهم من الله ما ليس لغيرهم.

فإِنْ شَاركهم الكُفَّار في مَعِيَّة الله؛ فإِنَّ المؤمنين يخْتَصُّون بِقُرب الله؛ ذَكَره ابن تيميَّةَ الحفيد، وأبو الفرج ابن رجبٍ رَحِمَهُمَاٱللَّهُ.

وما وَقَع في القرآن مِن آياتٍ يُتَوَهَّمُ منها خلاف هذا المعنى فإِنَّ المَعروف في تفسير السَّلف خلاف ما يَتَوَهَّمه المُتَوَهِّم؛ كقوله تعالى: ﴿وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ﴾ [ق:١٦]؛ فإِنَّ (القُرْبَ) المذكور في الآية هو قُرْب الملائكة؛ فبهذا فَسَّره السَّلف.

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَمِنَ الإِيمَانِ بِهِ وَبِكُتُبِهِ: الإِيمَانُ بِأَنَّ القُرْآنَ كَلامُ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، مُنَزَّلٌ، غَيْرُ مَخْلُوقٍ، مِنْهُ بَدَأَ، وَإِلَيْهِ يَعُودُ، وَأَنَّ اللهَ تكَلَّمَ بِهِ حَقِيقَةً، وَأَنَّ هَذَا القُرْآنَ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَى نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ كَلَامُ اللهِ حَقِيقَةً، لَا كَلَامَ غَيْرِه.

وَلَا يَجُوزُ إِطْلَاقُ القَوْلِ بِأَنَّهُ حِكَايَةٌ عَنْ كَلَامِ اللهِ، أَوْ عِبَارَةٌ عَنْهُ؛ بَلْ إِذَا قَرَأَهُ النَّاسُ أَوْ كَتَبُوهُ فِي المَصَاحِفِ؛ لَمْ يَخْرُجْ بِذَلِكَ عَنْ أَنْ يَكُونَ كَلَامَ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ حَقِيقَةً، فَإِنَّ الكَلَامَ إِنَّمَا يُضَافُ حَقِيقَةً إِلَى مَنْ تَكَلَّمَ بِهِ مُبْتَدِئًا، لَا إِلَى مَنْ قَالَهُ مُبَلِّغًا مُؤَدِّيًا.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللَّهُ:

ذَكَر المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ في هذه الجملة: أنَّ (مِنَ الإِيمَانِ بِهِ وَبِكُتُبِهِ: الإِيمَانُ بِأَنَّ القُرْآنَ كَلامُ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، مُنَزَّلٌ، غَيْرُ مَخْلُوقٍ، مِنْهُ بَدَأَ)؛ أي تَكَلَّم به حقيقة، (وَإِلَيْهِ يَعُودُ)؛ أي يُرفَع من الصُّدور والسُّطور؛ فلا يبقى منه آيةٌ في مصحفٍ ولا في صَدْر حافِظٍ، ويكون ذلك في آخر الزَّمان؛ ثبتَت به الأحاديث والآثار، وانعقَدَ عليه الإجماع.

و(القرآن) (هُوَ كَلامُ اللهِ حَقِيقَةً، لا كَلامَ غَيْرِهِ)؛ أي أَنَّ حروفه ومعانيه من الله؛ فلا يُقال: (إنَّه حكايةٌ عن كلام الله، ولا عبارةٌ عنه)، بل هو كلام الله، حروفُه ومعانيه.

و(**الحكاية**) و(**العبارة**): مذهبان باطلان في صِفة كلام الله عَزَّوَجَلَّ، ومنه: القُرآن.

فإنَّ الكُلَّابِيَّة والأشاعرة زَعموا أَنَّ الكلام صفةٌ قائمةٌ بذات الله؛ فلا تكون بحرفٍ

وصَوْت، وكذا غيرُه من الكُتب الإلهِيَّة.

وأَنَّ تلك الكُتب - ومنها: القرآن - هي عند الكُلَّابِيَّة حِكايةٌ عن كلام الله، وعند الأشاعرة عبارةٌ عن كلام الله.

ومعنى هذين المذهبين: أَنَّ القرآنَ - وغيرُه من الكُتب الإِلَهِيَّة - معناه من الله دون حروفِه.

وأهل السُّنَّة يُؤمنون بأَنَّ القرآن حروفَه ومعانيه كُلُّها من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قَال المُصَنِّف رَحِمَهُ اللهُ:

وَقَدْ دَخَلَ أَيْضًا فِيمَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ الإِيمَانِ بِهِ وَبِكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ: الإِيمَانُ بِأَنَّ المُؤْمِنِينَ يَرَوْنَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ عِيَانًا بِأَبْصَارِهِمْ؛ كَمَا يَرَوْنَ الشَّمْسَ صَحْوًا لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ، وَكَمَا يَرَوْنَ القَمَرَ لَيْلَةَ البَدْرِ لَا يُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ.

يَرَوْنَهُ - سُبْحَانَهُ - وَهُمْ فِي عَرَصَاتِ القِيَامَةِ، ثُمَّ يَرَوْنَهُ بَعْدَ دُخُولِ الجَنَّةِ؛ كَمَا يَشَاءُ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قَال الشَّارِح وفّقه الله:

ذكَر المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذه الجملة: أنَّ (مِنَ الإِيمَانِ بِهِ وَبِكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ: الإِيمَانَ بِأَنَّ المُؤْمِنِينَ) يَرَون ربَّهم (يَوْمَ القِيَامَةِ عِيَانًا بِأَبْصَارِهِمْ)؛ أي بلا خفاءٍ.

وقد ثَبَتَ هذا اللَّفظ «عِيَانًا» في «صحيحِ البخاريِّ» في حديث جريرٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنَّ النَّبيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ عِيَانًا**»؛ أي على الحقيقةِ بأبصاركم.

(يَرَوْنَهُ - سُبْحَانَهُ - وَهُمْ فِي عَرَصَاتِ القِيَامَةِ)؛ أي: مُتَّسعاتِها، (ثُمَّ يَرَوْنَهُ) - سبحانه - في (الجَنَّةِ).

والفَرْق بين الرُّؤيتين من وجهين:

- **أحدهما: أنَّ الرُّؤية الَّتي تكون في عَرصات يوم القيامة**: رُؤيةُ امتحانٍ وتعريفٍ، **والرُّؤية الَّتي تكون في الجَنَّة**: رؤيةُ إنعامٍ وتشريفٍ.
- **والآخر: أنَّ الرُّؤية الأُولى** مشتَركةٌ بين المؤمنين والكافرين والمنافقين، **أمَّا**

الرُّؤية الثَّانية: فتَخْتَصُّ بالمؤمنين؛ لانفرادهم باستحقاق الإنعام والتَّشريف في الآخرة.

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَمِنَ الإِيمَانِ بِاليَوْمِ الآخِرِ: الإِيمَانُ بِكُلِّ مَا أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِمَّا يَكُونُ بَعْدَ المَوْتِ، فَيُؤْمِنُونَ بِفِتْنَةِ القَبْرِ، وَبِعَذَابِ القَبْرِ وَنَعِيمِهِ.

فَأَمَّا الفِتْنَةُ؛ فَإِنَّ النَّاسَ يُفْتَنُونَ فِي قُبُورِهِمْ، فَيُقَالُ لِلرَّجُلِ: مَنْ رَبُّكَ؟ وَمَا دِينُكَ؟ وَمَنْ نَبِيُّكَ؟ فَيُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالقَوْلِ الثَّابِتِ، فَيَقُولُ المُؤْمِنُ: اللهُ رَبِّي، وَالإِسْلَامُ دِينِي، وَمُحَمَّدٌ نَبِيِّي.

وَأَمَّا المُرْتَابُ؛ فَيَقُولُ: «آهْ آهْ لَا أَدْرِي، سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَقُلْتُهُ»، فَيُضْرَبُ بِمِرْزَبَةٍ مِنْ حَدِيدٍ، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا كُلُّ شَيْءٍ؛ إِلَّا الإِنْسَانَ، وَلَوْ سَمِعَهَا الإِنْسَانُ لَصَعِقَ.

ثُمَّ بَعْدَ هَذِهِ الفِتْنَةِ إِمَّا نَعِيمٌ وَإِمَّا عَذَابٌ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ الكُبْرَى، فَتُعَادُ الأَرْوَاحُ إِلَى الأَجْسَادِ.

وَتَقُومُ القِيَامَةُ الَّتِي أَخْبَرَ اللهُ بِهَا فِي كِتَابِهِ، وَعَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَجْمَعَ عَلَيْهَا المُسْلِمُونَ؛ فَيَقُومُ النَّاسُ مِنْ قُبُورِهِمْ لِرَبِّ العَالَمِينَ، حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا، وَتَدْنُو مِنْهُمُ الشَّمْسُ، وَيُلْجِمُهُمُ العَرَقُ.

وَتُنْصَبُ المَوَازِينُ، فَتُوزَنُ فِيهَا أَعْمَالُ العِبَادِ، ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَـٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [المؤمنون].

وَتُنْشَرُ الدَّوَاوِينُ، وَهِيَ صَحَائِفُ الأَعْمَالِ، فَآخِذٌ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ، وَآخِذٌ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ أَوْ

مِـنْ وَرَاءِ ظَهْـرِهِ؛ كَمَـا قَـالَ تَعَـالَى: ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾ [الإسراء].

وَيُحَاسِبُ اللهُ الخَلَائِقَ، وَيَخْلُو بِعَبْدِهِ المُؤْمِنِ، فَيُقَـرِّرُهُ بِذُنُوبِـهِ؛ كَمَا وُصِـفَ ذَلِـكَ فِـي الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

وَأَمَّا الكُفَّارُ فَلَا يُحَاسَبُونَ مُحَاسَبَةَ مَنْ تُوزَنُ حَسَنَاتُهُ وَسَـيِّئَاتُهُ؛ فَإِنَّهُ لَا حَسَـنَاتِ لَهُـمْ، وَلَكِنْ تُعَدَّدُ أَعْمَالُهُمْ وَتُحصَى، فَيُوقَفُونَ عَلَيْهَا، وَيُقَرَّرُونَ بِهَا، وَيُجزَوْنَ بِهَا.

وَفِي عَرَصَةِ القِيَامَةِ الحَـوْضُ المَـوْرُودُ لِمُحَمَّـدٍ ﷺ، مَـاؤُهُ أَشَـدُّ بَيَاضًـا مِـنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ العَسَـلِ، طُولُـهُ شَـهْرٌ، وَعَرْضُـهُ شَـهْرٌ، آنِيَتُـهُ عَـدَدُ نُجُومِ السَّـمَاءِ، فَمَـنْ شَرِبَ مِنْهُ شَرْبَةً؛ لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهَا أَبَدًا.

وَالصِّرَاطُ مَنْصُوبٌ عَلَى مَتْنِ جَهَنَّمَ، وَهُوَ الجِسْرُ الَّذِي بَيْنَ الجَنَّةِ وَالنَّـارِ، يَمُـرُّ النَّـاسُ عَلَيْهِ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ؛ فَمِنْهُـمْ مَنْ يَمُرُّ عَلَيْهِ كَلَمْحِ البَـصَرِ، وَمِنْهُـمْ مَنْ يَمُرُّ عَلَيْهِ كَالبَرْقِ، وَمِنْهُـمْ مَنْ يَمُرُّ كَالرِّيحِ، وَمِنْهُـمْ مَنْ يَمُرُّ كَالفَرَسِ الجَوَادِ، وَمِنْهُـمْ مَنْ يَمُرُّ كَرِكَـابِ الإِبِـلِ، وَمِنْهُـمْ مَن يَعْدُو عَدْوًا، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْـشِي مَشْـيًا، وَمِنْهُـمْ مَـنْ يَزْحَـفُ زَحْفًـا، وَمِنْهُـمْ مَـنْ يُخْطَفُ فَيُلْقَى فِي جَهَنَّمَ؛ فَإِنَّ الجِسْرَ عَلَيْهِ كَلَالِيبُ تَخْطِفُ النَّـاسَ بِأَعْمَـالِهِمْ، فَمَـنْ مَـرَّ عَلَى الـصِّرَاطِ دَخَلَ الجَنَّةَ.

فَإِذَا عَبَرُوا عَلَيْهِ، وُقِفُوا عَلَى قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيُقْتَصُّ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ، فَـإِذَا هُذِّبُوا وَنُقُّوا؛ أُذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الجَنَّةِ.

وَأَوَّلُ مَـنْ يَسْـتَفْتِحُ بَـابَ الجَنَّـةِ: مُحَمَّـدٌ ﷺ، وَأَوَّلُ مَـنْ يَـدْخُلُ الجَنَّـةَ مِـنَ

الأُمَمِ: أُمَّتُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَلَهُ فِي القِيَامَةِ ثَلَاثُ شَفَاعَاتٍ:

أَمَّا الشَّفَاعَةُ الأُولَى: فَيَشْفَعُ لِأَهْلِ المَوْقِفِ حَتَّى يُقْضَى بَيْنَهُمْ بَعْدَ أَنْ يَتَرَاجَعَ الأَنْبِيَاءُ: آدَمُ، وَنُوحٌ، وَإِبْرَاهِيمُ، وَمُوسَى، وَعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِمْ مِنَ اللهِ السَّلَامُ = الشَّفَاعَةَ حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَيْهِ.

وَأَمَّا الشَّفَاعَةُ الثَّانِيَةُ: فَيَشْفَعُ فِي أَهْلِ الجَنَّةِ أَنْ يَدْخُلُوا الجَنَّةَ.

وَهَاتَانِ الشَّفَاعَتَانِ خَاصَّتَانِ لَهُ.

وَأَمَّا الشَّفَاعَةُ الثَّالِثَةُ: فَيَشْفَعُ فِيمَنِ اسْتَحَقَّ النَّارَ، وَهَذِهِ الشَّفَاعَةُ لَهُ وَلِسَائِرِ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَغَيْرِهِمْ، فَيَشْفَعُ فِيمَنِ اسْتَحَقَّ النَّارَ أَلَّا يَدْخُلَهَا، وَيَشْفَعُ فِيمَنْ دَخَلَهَا أَنْ يَخْرُجَ مِنْهَا.

وَيُخْرِجُ اللهُ - تَعَالَى - مِنَ النَّارِ أَقْوَامًا بِغَيْرِ شَفَاعَةٍ؛ بَلْ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ، وَيَبْقَى فِي الجَنَّةِ فَضْلٌ عَمَّنْ دَخَلَهَا مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا، فَيُنْشِئُ اللهُ لَهَا أَقْوَامًا، فَيُدْخِلُهُمُ الجَنَّةَ.

وَأَصْنَافُ مَا تَتَضَمَّنَهُ الدَّارُ الآخِرَةُ مِنَ الحِسَابِ، وَالثَّوَابِ، وَالعِقَابِ، وَالجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَتَفَاصِيلِ ذَلِكَ = مَذْكُورَةٌ فِي الكُتُبِ المُنَزَّلَةِ مِنَ السَّمَاءِ، وَالآثَارَةِ مِنَ العِلْمِ المَأْثُورِ عَنِ الأَنْبِيَاءِ، وَفِي العِلْمِ المَوْرُوثِ عَنْ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ ذَلِكَ مَا يَشْفِي وَيَكْفِي، فَمَنِ ابْتَغَاهُ وَجَدَهُ.

قَالَ الشَّارِحُ وفَّقَه اللهُ:

شَرَعَ المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذه الجملة يُبيِّن الرُّكن الخامس من أركان الإيمان؛ وهو (الإِيمَانِ بِاليَوْمِ الآخِرِ).

و(اليوم الآخر) - على ما ذكَره - هو كُلُّ (مَا أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ مِمَّا يَكُونُ بَعْدَ المَوْتِ)، فهو اسمٌ لِمَا يكون بعد الموت.

وعَدَّه ابن سِعديٍّ في «التَّنبيهات اللَّطيفة» ضابطًا جامعًا.

فيُؤمن أهل السُّنَّةِ والجماعة: (بِفِتْنَةِ القَبْرِ)؛ وهي سؤال الملكَيْن العبدَ عن رَبِّه، ودينه، ونَبيِّه؛ (فَيُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالقَوْلِ الثَّابِتِ)، (وَأَمَّا المُرْتَابُ؛ فَيَقُولُ: «آهْ آهْ لَا أَدْرِي، سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَقُلْتُهُ»).

والمشهور في لفظ الحديث: «هاه، هاه».

وَوَقع في رواية الرُّويانِيِّ في «مُسندِه»: «آه، آه»؛ وهي المُثبَتة في النُّسخة الَّتي قُرئت على المصنِّف من هذه «العقيدة».

ويُؤمنون: بـ(نَعِيمِ القَبْرِ وَعَذَابِهِ)؛ وهو ما يجري على العبد مِن نعيمٍ أو عذابٍ في قَبْره.

ويُؤمنون: بيوم القيامة إذا أُعيدت (الأَرْوَاحُ إِلَى الأَجْسَادِ)، وقام النَّاس (لِرَبِّ العَالَمِينَ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا)؛ أي غير مَختُونِين.

وحينئذٍ يُنصَب الميزان؛ **وهو واحدٌ فِي أَصَحِّ الأقوال.**

وجُمِع في مواضعَ من القرآن: باعتبار تَعدُّد ما يُوزَن فيه؛ فتُوزَن فيه: الأعمال،

وصحائفُها، وعُمَّالها، **وهذا أحسن الأقوالِ فيما يقع فيه الوَزن.**

وإليه أشرتُ بقولي:

الْـوَزْنُ فِـي أَصَـحِّ قَـوْلٍ لِلْعَمَـلْ ... وَعَامِـلٍ مَـعْ صُـحْفِهِ نِلْـتَ الْأَمَلْ

(وَتُنْشَرُ الدَّوَاوِينُ، وَهِيَ صَحَائِفُ الأَعْمَالِ)، **سُمِّيت** (دَواوينَ) لأنَّه تُدَوَّن فيها الأعمال؛ أي تُكتَب.

فيأخذ المؤمن (كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ)، ويأخذ الكافر كتابه (بِشِمَالِهِ) أو من (وَرَاءِ ظَهْرِهِ).

(وَيُحَاسِبُ اللهُ الخَلائِقَ).

و(**الحساب) في الشَّرع**: عَدُّ أعمال العبد يوم القيامة.

وله درجتان:

- **إحداهما: الحساب اليسير**؛ وفيه تُعرَض أعمال العبد عليه ويُقرَّر بها.
- **والأخرى: الحساب العسير**؛ وفيه تُعرَض أعمال العبد عليه، ويُناقَش فيها وتُستقصى عليه.

و(الكُفَّارُ لَا يُحَاسَبُونَ مُحَاسَبَةَ مَنْ تُوزَنُ حَسَنَاتُهُ وَسَيِّئَاتُهُ)؛ إذ لا حَسَنة لهم في الآخرة؛ فإنَّهم يَأتون يوم القيامة وقد جُوزُوا بحسناتِهم في الدُّنيا، ولكنَّهم يُحاسبون بالتَّقرير على أعمالهم والتَّوبيخ عليها.

(وَفِي) عَرَصَاتِ (القِيَامَةِ) وهي مُتَّسعاتُها (الحَوْضُ المَوْرُودُ) لرسولنا صَلَّىٰ‌اللَّهُ‌عَلَيۡهِ‌وَسَلَّمَ.

ولِكُلِّ نبيٍّ حوضٌ، ولكنَّ حوضَ محمَّدٍ صَلَّىٰ‌اللَّهُ‌عَلَيۡهِ‌وَسَلَّمَ هو أعظمها وَصْفًا وأَكْملها

حالًا.

ويُؤمن أهل السُّنَّة: بـ(الصِّرَاطِ)؛ وهو جِسْرٌ منصوبٌ على متن جهنَّمَ - أي على ظَهرها - يُوصِل إلى الجَنَّة؛ وهذا معنى قول المصنِّف: (وَهُوَ الجِسْرُ الَّذِي بَيْنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ)؛ أي بينهما باعتبار الإيصال، لا باعتبار الاتِّصال.

فإِنَّ الجَنَّة لا تكونُ فِي حَيِّزٍ وتكون النَّار في حَيِّزٍ ويكون الجسر في حَيِّزٍ بينهما؛ وإِنَّما يكون الجسر منصوبًا على متن جهنم، ثُمَّ مَنْ مَرَّ عليه يَنتقل بعد ذلك إلى الجنَّة.

فقوله: (وَهُوَ الجِسْرُ الَّذِي بَيْنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ)؛ أي باعتبار كَوْنه مُوصِلًا إلى الجنَّة، لا باعتبار أَنَّه بين طَرَفي الجَنَّة والنَّار.

يَمُرُّ عليه المؤمنون فقط على الصَّحيح من أقوال أهل السُّنَّة؛ لِمَا وَرَد عن النَّبيِّ صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ من أحاديث؛ أصرحها: لَمَّا ذَكَر الصِّراط فقال: «**فَيَمُرُّ المُؤْمِنُونَ**». مُتَّفقٌ عليه من حديث أبي سعيدٍ الخدريِّ، واللَّفظ لمسلمٍ.

فيَمُرُّ عليه المؤمنون (عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ؛ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ عَلَيْهِ كَلَمْحِ البَصَرِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ عَلَيْهِ كَالبَرْقِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالرِّيحِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالفَرَسِ الجَوَادِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَرِكَابِ الإِبِلِ)؛ أي الإبل الرَّواحل الَّتي تُتَّخَذُ للرُّكوب.

(فَمَنْ مَرَّ عَلَى الصِّرَاطِ دَخَلَ الجَنَّةَ)، بخلاف مَنْ أخذته كلاليب النَّار من عُصاة المؤمنين؛ فإِنَّهم يدخلون النَّار ثُمَّ يُخرَجون منها.

و(**الكلاليب**): جَمْع (كُلَّابٍ) و(كَلُّوبٍ)؛ وهو حديدةٌ مُعْوَجَّةُ الرَّأس ذات شُعَبٍ، أي حديدةٌ يكون رَأسُها مُقَسَّمًا قسمين أو ثلاثةً.

ثُمَّ يُوقَف الَّذين عَبَروا الصِّراط (عَلَى قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيُقْتَصُّ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ، فَإِذَا هُذِّبُوا وَنُقُّوا؛ أُذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الجَنَّةِ).

و(**القنطرة**): بناءٌ مرتفِعٌ بين الجَنَّة والنَّار، بمنزلة جسورِ المُشاة الَّتي تُضرَب على طَرَفي الطُّرق الطَّويلة.

(وَأَوَّلُ مَن يَسْتَفْتِحُ بَابَ الجَنَّةِ) هو (مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، وهو أَوَّل شافعٍ وأَوَّلُ مُشَفَّع.

وللنَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (فِي القِيامَةِ ثلاثُ شَفاعَاتٍ):

(**الشَّفَاعَةُ الأُولَى**): شفاعته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في (أَهْلِ المَوْقِفِ) أَنْ (يُقْضَى بَيْنَهُمْ)؛ وهي الشَّفاعة العُظْمى.

و(**الشَّفَاعَةُ الثَّانِيَةُ**): شفاعته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأهل الجَنَّة أَنْ يدخلوها.

(وَهَاتَانِ الشَّفَاعَتَانِ خَاصَّتَانِ) به.

والشَّفاعة الثَّالثة: شفاعته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (فِيمَنِ اسْتَحَقَّ النَّارَ، وَهَذِهِ الشَّفَاعَةُ) لا تَخْتَصُّ به، بل هي (لَهُ وَلِسَائِرِ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَغَيْرِهِمْ)؛ فيشفعون (فِيمَنِ اسْتَحَقَّ النَّارَ أَلَّا يَدْخُلَهَا)، ومَنْ (دَخَلَهَا أَنْ يَخْرُجَ مِنْهَا).

فهي تَعُمُّ طائفتين:

- **الأُولى**: المُستحِقُّون دخول النَّار أَنْ لا يدخلوها.
- **والثَّانية**: الدَّاخلون في النَّار أَنْ يخرجوا منها.

والأظهر: أَنَّ هذه الشَّفاعة تَخْتَصُّ بِمَنْ دَخل النَّار أَنْ يخرج منها؛ وهو اختيار أبي

عبد الله ابن القَيِّم، خلافًا لشيخه.

فتصير هذه الشَّفاعة الثَّالثة: شفاعتُه صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ هو وغيرُه فيمَنْ دَخل النَّار أن يخرجَ منها.

ثُمَّ ذكَر أَنَّ (اللهَ يُخْرِجُ مِنَ النَّارِ أَقْوَامًا بِغَيرِ شَفَاعَةٍ؛ بَلْ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ، وَيَبْقَى فِي الجَنَّةِ فَضْلٌ) أي زيادةٌ (عَمَّنْ دَخلَهَا مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا، فَيُنْشِئُ اللهُ لَهَا) أي للجَنَّةِ (أَقْوَامًا فَيُدْخِلُهُمُ الجَنَّةَ).

ثُمَّ خَتَم المصنِّف ببيان أَنَّ أحوال اليوم الآخر متنوِّعة كثيرةٌ، وأَنَّ تفاصيلَها معروفةٌ في القرآن والسُّنَّة؛ فمَنْ أراد أن يلتمسَها طَلَبها مِن القرآن والسُّنَّة؛ لأَنَّها خبَرٌ غيبٌ لا يُعلَم إِلَّا بطريق الوَحْي.

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَتُؤْمِنُ الفِرْقَةُ النَّاجِيَةُ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ.

وَالإِيمَانُ بِالقَدَرِ عَلَى دَرَجَتَيْنِ؛ كُلُّ دَرَجَةٍ تَتَضَمَّنُ شَيْئَيْنِ:

فَالدَّرَجَةُ الأُولَى: الإِيمَانُ بِأَنَّ اللهَ - تَعَالَى - عَلِمَ مَا الخَلْقُ عَامِلُونَ بِعِلْمِهِ القَدِيمِ، الَّذِي هُوَ مَوْصُوفٌ بِهِ أَزَلًا وَأَبَدًا، وَعَلِمَ جَمِيعَ أَحْوَالِهِمْ مِنَ الطَّاعَاتِ وَالمَعَاصِي وَالأَرْزَاقِ وَالآجَالِ، ثُمَّ كَتَبَ اللهُ تَعَالَى فِي اللَّوْحِ المَحْفُوظِ مَقَادِيرَ الخَلَائِقِ.

فَأَوَّلُ مَا خَلَقَ اللهُ القَلَمَ؛ قَالَ لَهُ: اكْتُبْ، فَقَالَ: مَا أَكْتُبُ؟، قَالَ: اكْتُبْ مَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ.

فَمَا أَصَابَ الإِنْسَانَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ، وَمَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ، جَفَّتِ الأَقْلَامُ، وَطُوِيَتِ الصُّحُفُ؛ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾ [الحج]، وَقَالَ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾﴾ [الحديد].

وَهَذَا التَّقْدِيرُ التَّابِعُ لِعِلْمِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ يَكُونُ فِي مَوَاضِعَ جُمْلَةً وَتَفْصِيلًا، فَقَدْ كَتَبَ فِي اللَّوْحِ المَحْفُوظِ مَا شَاءَ.

فَإِذَا خَلَقَ جَسَدَ الجَنِينِ قَبْلَ نَفْخِ الرُّوحِ فِيهِ؛ بَعَثَ إِلَيْهِ مَلَكًا، فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكَتْبِ رِزْقِهِ، وَأَجَلِهِ، وَعَمَلِهِ، وَشَقِيٍّ أَوْ سَعِيدٍ، وَنَحْوَ ذَلِكَ.

فَهَذَا القَدَرُ قَدْ كَانَ يُنْكِرُهُ غُلَاةُ القَدَرِيَّةِ قَدِيمًا، وَمُنْكِرُهُ اليَوْمَ قَلِيلٌ.

وَأَمَّا الدَّرَجَةُ الثَّانِيَةُ: فَهِيَ مَشِيئَةُ اللهِ النَّافِذَةُ، وَقُدْرَتُهُ الشَّامِلَةُ، وَهُوَ الإِيمَانُ بِأَنَّ مَا شَاءَ اللهُ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، وَأَنَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الأَرْضِ مِنْ حَرَكَةٍ وَلَا سُكُونٍ؛ إِلَّا بِمَشِيئَةِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لَا يَكُونُ فِي مُلْكِهِ مَا لَا يُرِيدُ، وَأَنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ؛ مِنَ المَوْجُودَاتِ وَالمَعْدُومَاتِ، فَمَا مِنْ مَخْلُوقٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الأَرْضِ إِلَّا اللهُ خَالِقُهُ - سُبْحَانَهُ -، لَا خَالِقَ غَيْرُهُ، وَلَا رَبَّ سِوَاهُ.

وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ أَمَرَ العِبَادَ بِطَاعَتِهِ وَطَاعَةِ رُسُلِهِ، وَنَهَاهُمْ عَنْ مَعْصِيَتِهِ.

وَهُوَ - سُبْحَانَهُ - يُحِبُّ المُتَّقِينَ وَالمُحْسِنِينَ وَالمُقْسِطِينَ، وَيَرْضَى عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ، وَلَا يُحِبُّ الكَافِرِينَ، وَلَا يَرْضَى عَنِ القَوْمِ الفَاسِقِينَ، وَلَا يَأْمُرُ بِالفَحْشَاءِ، وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الكُفْرَ، وَلَا يُحِبُّ الفَسَادَ.

وَالعِبَادُ فَاعِلُونَ حَقِيقَةً، وَاللهُ خَالِقُ أَفْعَالِهِمْ.

وَالعَبْدُ هُوَ المُؤْمِنُ، وَالكَافِرُ، وَالبَرُّ، وَالفَاجِرُ، وَالمُصَلِّي، وَالصَّائِمُ.

وَلِلْعِبَادِ قُدْرَةٌ عَلَى أَعْمَالِهِمْ، وَلَهُمْ إِرَادَةٌ، وَاللهُ خَالِقُهُمْ وَخَالِقُ قُدْرَتِهِمْ وَإِرَادَتِهِمْ؛ كَمَا قَالَ: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٩﴾ [التَّكوير].

وَهَذِهِ الدَّرَجَةُ مِنَ القَدَرِ يُكَذِّبُ بِهَا عَامَّةُ القَدَرِيَّةِ الَّذِينَ سَمَّاهُمُ السَّلَفُ مَجُوسَ هَذِهِ الأُمَّةِ، وَيَغْلُو فِيهَا قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ الإِثْبَاتِ، حَتَّى سَلَبُوا العَبْدَ قُدْرَتَهُ وَاخْتِيَارَهُ، وَيُخْرِجُونَ عَنْ أَفْعَالِ اللهِ وَأَحْكَامِهِ حِكَمَهَا وَمَصَالِحَهَا [1].

---

(١) إلىٰ هنا تمام المجلس الثَّاني، وكان بعد المغرب ليلة الثُّلاثاء الخامس والعشرين من شهر ربيع الآخر، سنة أربعين بعد الأربعمائة والألف، ومدَّته: ساعةٌ وخمس دقائق.

قَالَ الشَّارِحُ وفَّقه اللهُ:

ذَكَر المُصَنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى في هذه الجملة الرُّكن السَّادس من أركان الإيمان؛ وهو (الإِيمَانُ بِالقَدَرِ).

فبيَّن أنَّه يأتي على درجتين:

- **الأُولى**: الدَّرجة السَّابقة وقوع المُقَدَّر؛ وتَتَضَمَّن عِلْمَ اللهِ المقاديرَ، وكتابتَه لها.
- **والثَّانِية**: الدَّرجة المُصاحِبة وقوع المُقَدَّر؛ وتتضمَّنُ مشيئة الله وخَلْقه.

ومراتب القَدَر أربعٌ:

- العِلْم.
- والكتابة.
- والمشيئة.
- والخَلْق.

وهذه المراتب الأربع مُنتظِمةٌ فِي الدَّرجتين المذكورتَين.

وحقيقة (القَدَر) شرعًا: عِلْمُ الله بالوقائع وكتابتُها، ومشيئَتُه وخَلْقُه لها.

ومِمَّا يندرج في هذا الباب: الإيمانُ بأَنَّ الله جَعَلَ للعبدِ مشيئةً وقُدرةً، لكنَّها تابعةٌ لمشيئة الله وقُدرته، غير مُستَقِلَّةٍ عنها؛ فالعبد يشاء ويختار تَبَعًا لمشيئة الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

والدَّرجة الأُولى من درجتي القَدَر قد (كَانَ يُنْكِرُهَا غُلَاةُ القَدَرِيَّةِ قَدِيمًا، وَمُنْكِرُوهَا اليَوْمَ قَلِيلٌ)؛ فقد كانوا يُنكِرون عِلْم الله - سبحانه - بالمقادير وكتابتَه لها.

أَمَّا الدَّرجة الثَّانية فيُنكرها (عَامَّةُ القَدَرِيَّةِ)؛ الَّذين يزعمون أنَّ العبد يخلق فِعْله، وأَنَّ

الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ لا يعلمه إلَّا بعد وقوعه، فيشاؤه العبد ويُقَدِّره، فإذا وَقَعَ عَلِمه الله! تعالى الله عن قولهم عُلُوًّا كبيرًا.

ويغلو فيها قومٌ من المُثبِتة - وَهُم الجبريَّة - (حَتَّى سَلَبُوا العَبْدَ قُدْرَتَهُ) ومشيئته، وجعلوه مجبورًا على أفعاله، لا اختيار ولا إرادةَ فيها! وعَطَّلوا (أَفْعَالَ اللهِ وَأَحْكَامَهُ) عن (حِكَمِهَا وَمَصَالِحِهَا)؛ إذ يصير العبد مجبورًا على الفعل، وتكون مُخاطبتُه بالأمر والنَّهي دون حكمةٍ ومصلحةٍ!

وَهُم في هذا القولِ غَالُون في إثبات القَدَر كما غَلَا أولئك في نَفْيهم القَدَر.

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَمِنْ أُصُولِ الفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ: أَنَّ الدِّينَ وَالإِيمَانَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ، قَوْلُ القَلْبِ وَاللِّسَانِ، وَعَمَلُ القَلْبِ وَاللِّسَانِ وَالجَوَارِحِ، وَأَنَّ الإِيمَانَ يَزِيدُ بِالطَّاعَةِ، وَيَنْقُصُ بِالمَعْصِيَةِ.

وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ لَا يُكَفِّرُونَ أَهْلَ القِبْلَةِ بِمُطْلَقِ المَعَاصِي وَالكَبَائِرِ؛ كَمَا يَفْعَلُهُ الخَوَارِجُ؛ بَلِ الأُخُوَّةُ الإِيمَانِيَّةُ ثَابِتَةٌ مَعَ المَعَاصِي؛ كَمَا قَالَ - سُبْحَانَهُ - فِي آيَةِ القِصَاصِ: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة:١٧٨]، وَقَالَ: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحُجُرات:٩-١٠].

وَلَا يَسْلُبُونَ الفَاسِقَ المِلِّيَّ اسْمَ الإِيمَانِ بِالكُلِّيَّةِ، وَلَا يُخَلِّدُونَهُ فِي النَّارِ؛ كَمَا تَقُولُ المُعْتَزِلَةُ؛ بَلِ الفَاسِقُ يَدْخُلُ فِي اسْمِ الإِيمَانِ؛ فِي مِثْلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ [النِّساء:٩٢]، وَقَدْ لَا يَدْخُلُ فِي اسْمِ الإِيمَانِ المُطْلَقِ؛ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنفال:٢]، وَقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرَبُ الخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَنْتَهِبُ نُهْبَةً ذَاتَ شَرَفٍ يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ حِينَ يَنْتَهِبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ**».

وَيَقُولُونَ: هُوَ مُؤْمِنٌ نَاقِصُ الإِيمَانِ، أَوْ مُؤْمِنٌ بِإِيمَانِهِ فَاسِقٌ بِكَبِيرَتِهِ، فَلَا يُعْطَى الاسْمَ المُطْلَقَ، وَلَا يُسْلَبُ مُطْلَقَ الاسْمِ.

قَالَ الشَّارِحُ وفّقه الله:

لَمَّا فَرَغ المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ من بيان أركان الإيمان، شَرَعَ يُبيِّن حقيقته عند أهل السُّنَّة.

فـ(الإيمان) له في الشَّرع معنيان:

- **أحدهما**: عامٌّ؛ وهو الدِّين الذي بُعِث به النَّبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
- **والآخر**: خاصٌّ؛ وهو الاعتقادات الباطنة؛ فإنَّها تُسَمَّى (إيمانًا)؛ وهذا المعنى هو المراد إذا قُرِنَ (الإيمان) بـ(الإسلام) و(الإحسان).

و(الإيمان) **بمعناه العامِّ** مُنقَسِمٌ على القلب واللِّسان والجوارح؛ وهذا معنى قول أهل السُّنَّة: (الإِيمَانَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ).

فالقول: (قَوْلُ القَلْبِ وَاللِّسَانِ).

والعمل: (عَمَلُ القَلْبِ وَاللِّسَانِ وَالجَوَارِحِ).

فموارد الإيمان خمسةٌ:

* **أَوَّلُها**: **قولُ القلب**؛ وهو اعتقاده وتصديقُه ومعرفتُه؛ كإيماننا بالملائكة؛ فإنَّه من قولِ القلب.

* **وثانيها**: **عَمَلُ القلب**؛ وهو حَرَكاتُه وإيراداته؛ كالخَوْف من الله والتَّوَكُّل عليه؛ فَهُما من عمل القلب، وَفْق الحقيقة الشَّرعيَّة لهما المُتَقَدِّم ذِكْرُها في شَرْح «ثلاثة الأصول».

* **وثالثها**: **قول اللِّسان**؛ وهو نُطْقه بالشَّهادتين.

* **ورابعها**: **عَمَلُ اللِّسان**؛ وهو العمل الذي لا يُؤدَّى إِلَّا به؛ كقراءة القُرآن.

* **وخامسها: عَمَلُ الجوارح**؛ وهو ما يقع من الطَّاعات بِها فِعْلًا وتَرْكًا.

والمراد بـ(الجوارح): أعضاء الإنسان الظَّاهرة؛ كاليدين والرِّجلين؛ سُمِّيت (جوارحَ) لأَنَّه يَجْتَرِح بِها عملَه، أي يكتسبه بِها.

والإيمان يزيد وينقص؛ وزيادته تكون (بِالطَّاعَةِ)، ونقصانه يكون (بِالمَعْصِيَةِ).

ومَنْ فعل كبيرةً فهو فاسقٌ، ليس بمؤمنٍ كامل الإيمان ولا بكافرٍ؛ بل هو (مُؤْمِنٌ نَاقِصُ الإِيمَانِ، أَوْ مُؤْمِنٌ بِإِيمَانِهِ فَاسِقٌ بِكَبِيرَتِهِ)، (فَلَا يُعْطَى الاسْمَ المُطْلَقَ) فيُقالُ عنه: مؤمنٌ، (وَلَا يُسْلَبُ مُطْلَقَ الاسْمِ) فيُقَال عنه: كافرٌ؛ بل يكون مؤمنًا بما عنده من الإيمان، وفاسقًا بكبيرتِهِ.

و(الأُخُوَّةُ الإِيمَانِيَّةُ) معه ثابتةٌ، لا تزول ولا تنتفي عنه مع (المَعَاصِي)، (كَمَا) تزعمه (الخَوَارِجُ)؛ الَّذين يُكَفِّرون بفِعْل الكبيرة ويحكمون على صاحبها بالخلود في النَّار.

ولا (كَمَا) تقوله (المُعْتَزِلَةُ)؛ الَّذين يُخرِجونه في الدُّنيا من الإسلام، ويجعلونه في المَنزلة بين المَنزلتين، ثُمَّ يحكمُون عليه في الآخرة بأَنَّه مُخَلَّدٌ في النَّار.

ففاعل الكبيرة عند أهل السُّنَّة هو باقٍ على الأُخُوَّة الإيمانيَّة؛ فهو مِن فُسَّاق أهل الإسلام.

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَمِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ: سَلَامَةُ قُلُوبِهِمْ وَأَلْسِنَتِهِمْ لِأَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ كَمَا وَصَفَهُمُ اللهُ بِهِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر]، وَطَاعَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قَوْلِهِ: «**لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي؛ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا؛ مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ**».

وَيَقْبَلُونَ مَا جَاءَ بِهِ الكِتَابُ وَالسُّنَّةُ وَالإِجْمَاعُ مِنْ فَضَائِلِهِمْ وَمَرَاتِبِهِمْ.

فَيُفَضِّلُونَ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الفَتْحِ - وَهُوَ صُلْحُ الحُدَيْبِيَةِ - وَقَاتَلَ عَلَى مَنْ أَنْفَقَ مِنْ بَعْدِهِ وَقَاتَلَ.

وَيُقَدِّمُونَ المُهَاجِرِينَ عَلَى الأَنْصَارِ.

وَيُؤْمِنُونَ بِأَنَّ اللهَ قَالَ لِأَهْلِ بَدْرٍ - وَكَانُوا ثَلَاثَ مِائَةٍ وَبِضْعَةَ عَشَرَ -: «**اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ؛ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ**».

وَبِأَنَّهُ لَا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ؛ كَمَا أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَلْ لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ، وَكَانُوا أَكْثَرَ مِنْ أَلْفٍ وَأَرْبَعِمِائَةٍ.

وَيَشْهَدُونَ بِالجَنَّةِ لِمَنْ شَهِدَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ كَالعَشَرَةِ، وَكَثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ، وَغَيْرِهِمْ مِنَ الصَّحَابَةِ.

وَيُقِرُّونَ بِمَا تَوَاتَرَ بِهِ النَّقْلُ عَنْ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَغَيْرِهِ؛ مِنْ

أَنَّ خَيْرَ هَذِهِ الأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا: أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ.

وَيُثَلِّثُونَ بِعُثْمَانَ، وَيُرَبِّعُونَ بِعَلِيٍّ؛ كَمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ الآثَارُ، وَكَمَا أَجْمَعَتِ الصَّحَابَةُ عَلَى تَقْدِيمِ عُثْمَانَ فِي البَيْعَةِ.

مَعَ أَنَّ بَعْضَ أَهْلِ السُّنَّةِ كَانُوا قَدِ اخْتَلَفُوا فِي عُثْمَانَ وَعَلِيٍّ - بَعْدَ اتِّفَاقِهِمْ عَلَى تَقْدِيمِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ - أَيُّهُمَا أَفْضَلُ؟

فَقَدَّمَ قَوْمٌ عُثْمَانَ وَسَكَتُوا، أَوْ رَبَّعُوا بِعَلِيٍّ، وَقَدَّمَ قَوْمٌ عَلِيًّا، وَقَوْمٌ تَوَقَّفُوا؛ لَكِنِ اسْتَقَرَّ أَمْرُ أَهْلِ السُّنَّةِ عَلَى تَقْدِيمِ عُثْمَانَ، ثُمَّ عَلِيٍّ.

وَإِنْ كَانَتْ هَذِهِ المَسْأَلَةُ - مَسْأَلَةُ عُثْمَانَ وَعَلِيٍّ -؛ لَيْسَتْ مِنَ الأُصُولِ الَّتِي يُضَلَّلُ المُخَالِفُ فِيهَا عِنْدَ جُمْهُورِ أَهْلِ السُّنَّةِ.

لَكِنَّ المَسْأَلَةَ الَّتِي يُضَلَّلُ المُخَالِفُ فِيهَا: مَسْأَلَةُ الخِلَافَةِ.

وَكَذَلِكَ يُؤْمِنُونَ بِأَنَّ الخَلِيفَةَ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، ثُمَّ عُثْمَانُ، ثُمَّ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ.

وَمَنْ طَعَنَ فِي خِلَافَةِ أَحَدٍ مِنْ هَؤُلَاءِ الأَئِمَّةِ؛ فَهُوَ أَضَلُّ مِنْ حِمَارِ أَهْلِهِ.

وَيُحِبُّونَ أَهْلَ بَيْتِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَيَتَوَلَّوْنَهُمْ، وَيَحْفَظُونَ فِيهِمْ وَصِيَّةَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ حَيْثُ قَالَ يَوْمَ (غَدِيرِ خُمٍّ): «**أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي**».

وَقد قَالَ أَيْضًا لِلْعَبَّاسِ عَمِّهِ - وَقَدِ شَكَا إِلَيْهِ أَنَّ بَعْضَ قُرَيْشٍ يَجْفُو بَنِي هَاشِمٍ - فَقَالَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ؛ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحِبُّوكُمْ للهِ وَلِقَرَابَتِي**».

وَقَالَ: «**إِنَّ اللهَ اصْطَفَى إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى مِنْ بَنِي إِسْمَاعِيلَ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ كِنَانَةَ قُرَيْشًا، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ**».

وَيَتَوَلَّوْنَ أَزْوَاجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُمَّهَاتِ المُؤْمِنِينَ، وَيُؤْمِنُونَ بِأَنَّهُنَّ أَزْوَاجُهُ فِي الآخِرَةِ؛ خُصُوصًا خَدِيجَةَ، أُمَّ أَكْثَرِ أَوْلَادِهِ، وَأَوَّلَ مَنْ آمَنَ بِهِ، وَعَاضَدَهُ عَلَى أَمْرِهِ، وَكَانَ لَهَا مِنْهُ المَنْزِلَةُ العَالِيَةُ.

وَالصِّدِّيقَةَ بِنْتَ الصِّدِّيقِ الَّتِي قَالَ فِيهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ؛ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ**».

وَيَتَبَرَّؤُونَ مِنْ طَرِيقَةِ الرَّوَافِضِ الَّذِينَ يُبْغِضُونَ الصَّحَابَةَ وَيَسُبُّونَهُمْ، وَطَرِيقَةِ النَّوَاصِبِ الَّذِينَ يُؤْذُونَ أَهْلَ البَيْتِ بِقَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ.

وَيُمْسِكُونَ عَمَّا شَجَرَ بَيْنَ الصَّحَابَةِ، وَيَقُولُونَ: إِنَّ هَذِهِ الآثَارَ المَرْوِيَّةَ فِي مَسَاوِئِهِمْ مِنْهَا مَا هُوَ كَذِبٌ، وَمِنْهَا مَا قَدْ زِيدَ فِيهِ وَنُقِصَ وَغُيِّرَ عَنْ وَجْهِهِ، وَعَامَّةُ الصَّحِيحِ مِنْهُ هُمْ فِيهِ مَعْذُورُونَ؛ إِمَّا مُجْتَهِدُونَ مُصِيبُونَ، وَإِمَّا مُجْتَهِدُونَ مُخْطِئُونَ.

وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ لَا يَعْتَقِدُونَ أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ مَعْصُومٌ عَنْ كَبَائِرِ الإِثْمِ وَصَغَائِرِهِ؛ بَلْ يَجُوزُ عَلَيْهِمُ الذُّنُوبُ فِي الجُمْلَةِ، وَلَهُمْ مِنَ السَّوَابِقِ وَالفَضَائِلِ مَا يُوجِبُ مَغْفِرَةَ مَا صَدَرَ مِنْهُمْ - إِنْ صَدَرَ -، حَتَّى إِنَّهُمْ يُغْفَرُ لَهُمْ مِنَ السَّيِّئَاتِ مَا لَا يُغْفَرُ لِمَنْ بَعْدَهُمْ؛ لِأَنَّ لَهُمْ مِنَ الحَسَنَاتِ الَّتِي تَمْحُو السَّيِّئَاتِ مَا لَيْسَ لِمَنْ بَعْدَهُمْ.

وَقَدْ ثَبَتَ بِقَوْلِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُمْ خَيْرُ القُرُونِ، وَأَنَّ المُدَّ مِنْ أَحَدِهِمْ إِذَا تَصَدَّقَ بِهِ كَانَ أَفْضَلَ مِنْ جَبَلِ أُحُدٍ ذَهَبًا مِمَّنْ بَعْدَهُمْ.

ثُمَّ إِذَا كَانَ قَدْ صَدَرَ عَنْ أَحَدِهِمْ ذَنْبٌ؛ فَيَكُونُ قَدْ تَابَ مِنْهُ، أَوْ أَتَى بِحَسَنَاتٍ تَمْحُوهُ، أَوْ غُفِرَ لَهُ؛ بِفَضْلِ سَابِقَتِهِ، أَوْ بِشَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي هُمْ أَحَقُّ النَّاسِ بِشَفَاعَتِهِ، أَوِ ابْتُلِيَ بِبَلَاءٍ فِي الدُّنْيَا كُفِّرَ بِهِ عَنْهُ.

فَإِذَا كَانَ هَذَا فِي الذُّنُوبِ المُحَقَّقَةِ؛ فَكَيْفَ الأُمُورُ الَّتِي كَانُوا فِيهَا مُجْتَهِدِينَ؛ إِنْ أَصَابُوا فَلَهُمْ أَجْرَانِ، وَإِنْ أَخْطَئُوا فَلَهُمْ أَجْرٌ وَاحِدٌ، وَالخَطَأُ مَغْفُورٌ؟!

ثُمَّ القَدْرَ الَّذِي يُنْكَرُ مِنْ فِعْلِ بَعْضِهِمْ: قَلِيلٌ نَزْرٌ، مَغْمُورٌ فِي جَنْبِ فَضَائِلِ القَوْمِ وَمَحَاسِنِهِمْ؛ مِنَ الإِيمَانِ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، وَالجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ، وَالهِجْرَةِ، وَالنُّصْرَةِ، وَالعِلْمِ النَّافِعِ، وَالعَمَلِ الصَّالِحِ.

وَمَنْ نَظَرَ فِي سِيرَةِ القَوْمِ بِعِلْمٍ وَعَدْلٍ وَبَصِيرَةٍ، وَمَا مَنَّ اللهُ بِهِ عَلَيْهِم مِنَ الفَضَائِلِ؛ عَلِمَ يَقِينًا أَنَّهُمْ خَيْرُ الخَلْقِ بَعْدَ الأَنْبِيَاءِ؛ لَا كَانَ وَلَا يَكُونُ مِثْلُهُمْ، وَأَنَّهُمْ هُمُ الصَّفْوَةُ مِنْ قُرُونِ هَذِهِ الأُمَّةِ، الَّتِي هِيَ خَيْرُ الأُمَمِ، وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللهِ تَعَالَى.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللهُ:

ذَكَرَ المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذه الجملة: أَنَّ (مِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ سَلَامَةُ قُلُوبِهِمْ وَأَلْسِنَتِهِمْ لِأَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، مُمتَثِلين ما ثَبَتَ لهم من الفضائل في القرآن والسُّنَّة؛ فيَقبَلُون ما فيهما (مِنْ فَضَائِلِهِمْ وَمَرَاتِبِهِمْ)، ويُقِرُّون بما لهم من الخصائص والشَّمائل.

و(يُفَضِّلُونَ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الفَتْحِ - وَهُوَ صُلْحُ الحُدَيْبِيَةِ - وَقَاتَلَ عَلَى مَنْ أَنْفَقَ مِنْ بَعْدِهِ وَقَاتَلَ).

(وَيُقَدِّمُونَ المُهَاجِرِينَ عَلَى الأَنْصَارِ).

(وَيُؤْمِنُونَ) بفضيلة (أَهْلِ بَدْرٍ)، وأنَّ الله قال لهم: («اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ؛ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ»). متَّفقٌ عليه من حديث عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وأنَّه (لَا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ)؛ وَهُم أهل بيعة الرِّضوان يوم الحُديبية.

(وَيَشْهَدُونَ بِالجَنَّةِ لِمَنْ شَهِدَ لَهُ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَالعَشَرَةِ) المُبَشَّرين بالجَنَّة؛ وهُم: الخلفاء الأربعة: (أبو بكرٍ، وعمرُ، وعثمانُ، وعليٌّ)، وسعدُ بن أبي وَقَّاص، وعبدُ الرَّحمن بنُ عَوفٍ، والزُّبيرِ بنُ العَوَّام، وطَلحةُ بنُ عُبيد الله، وأبو عُبيدةَ بنُ الجَرَّاح، وسعيد بنُ زيدِ بن عمرِو بن نُفَيلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

وسُمُّوا **(العَشَرة المُبَشَّرين بالجَنَّة)** لمجيءِ بِشارتِهم بِها في حديثٍ واحدٍ.

ويعتقد أهل السُّنَّة أنَّ **ترتيب الخلفاء الأربعة في الفضل كترتيبهم في الخلافة**؛ فأفضلهم: أبو بكرٍ، ثُمَّ عمرُ، ثُمَّ عثمانُ، ثُمَّ عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

وفي المفاضلة بين عثمانَ وعليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا خلافٌ قديمٌ، ثُمَّ (اسْتَقَرَّ) أمر (أَهْلِ السُّنَّةِ عَلَى تَقْدِيمِ عُثْمَانَ) على (عَلِيٍّ) في الفضل كتقديمِه عليه في الخلافة.

وهذه المسألة - وهي مسألةُ تقديمِ عثمانَ على عليٍّ في الفضل، أو عكسُ ذلك - (لَيْسَتْ مِنَ الأُصُولِ الَّتِي يُضَلَّلُ فِيهَا المُخَالِفُ).

ولَكِنَّ الَّذي (يُضَلَّلُ) فيه المُخالِف هو (الخِلَافَةُ)؛ بأنْ يعتقد أحدٌ بأنَّ عليًّا يُقَدَّم في

الخلافة على عثمانَ؛ لمخالفة ذلك إجماع الصَّحابة؛ فإنَّ الصَّحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ مُجمِعون على تقديم عثمانَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ على عليٍّ في الخلافة.

وأمَّا في التَّفضيلِ بينهما: فكان بين الصَّحابة ثُمَّ في صَدْرِ التَّابعين خلافٌ، ثُمَّ استَقَرَّ الأمر على تقديم عثمانَ على عليٍّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا في الفضل؛ فَهُم في فَضْلهم مُرَتَّبون كترتيب الخلافة فيهم.

(وَمَنْ طَعَنَ فِي خِلَافَةِ أَحَدٍ مِنْ هَؤُلَاءِ الأَئِمَّةِ فَهُوَ) كما قال المصنِّف: (أَضَلُّ مِنْ حِمَارِ أَهْلِه)؛ لأَنَّ الصَّحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ عقدوا لهم الخلافةَ وأجمعوا على ذلك، فانْتَظَم أَمْرُهم فيهم خلفاءَ وَفْق التَّرتيب، وانقضَى هذا الأمرُ.

فالمُنازِع في ذلك بِهذه المنزلة الَّتي ذَكَرها المصنِّف.

ويُحِبُّ أهل السُّنَّة والجماعةِ (أَهْلَ بَيْتِ رَسُولِ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وَيَتَوَلَّوْنَهُمْ).

وأهل بيته - في أَصَحِّ الأقوال - هُم الَّذين حُرِّمَتْ عليهم الصَّدَقة؛ وهؤلاء بنو هاشمٍ وزوجاته صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

ولأجل ما لأزواج النَّبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ من مقامٍ كريمٍ عنده أَفْرَدَهُنَّ المُصَنِّف بالذِّكر؛ فقال: (وَيَتَوَلَّوْنَ أَزْوَاجَ النَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أُمَّهَاتِ المُؤْمِنِينَ) إلى آخر ما ذَكَر.

ويَتَبَرَّأ أهل السُّنَّة والجماعة (مِنْ طَرِيقَةِ الرَّوَافِضِ) و(النَّوَاصِبِ):

فإنَّ الرَّوافض: (يُبْغِضُونَ الصَّحَابَةَ وَيَسُبُّونَهُمْ)، ويُعَظِّمون مَنْ يُعظِّمون منهم ومن غيرهم من آل بيت النَّبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

وأمَّا النَّواصب: فطريقتهم أَذِيَّة أهل بيت النَّبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، كما أنَّهم كَفَّروا كثيرًا

من أصحاب النَّبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

ويُمسِك أهل السُّنَّة عَمَّا (شَجَرَ بَيْنَ الصَّحَابَةِ) من الاختلاف، وما جَرَى في زمانِهم من فتنةٍ؛ فلا تجري فيه الألسنة قولًا؛ حِفْظًا لمقامهم، ورعايةً لمرتبتهم، وحِفْظًا للألسنة من الوقوع فيهم بشيءٍ لا تُحمَد عاقبته؛ فإنَّ الله عَزَّوَجَلَّ جعَلَ لهم مقامًا مرفوعًا، وخَصَّهم بما خَصَّهم به من الفضائل.

فمن الأدب معهم: أَلَّا يتعرَّض المرء لشيءٍ شَجَرَ بينهم وانقضى.

ويقول أهل السُّنَّة: (إِنَّ هَذِهِ الآثَارَ المَرْوِيَّةَ فِي) مساوئ الصَّحابة ثلاثة أقسام:

* **القسم الأوَّل**: (مَا هُوَ كَذِبٌ) في نفسه؛ فلا يثبتُ البتَّة.

* **والقسم الثَّاني**: (مَا زِيدَ فِيهِ وَنُقِصَ)، وغُيِّر عن وجهه.

* **والقِسم الثَّالث**: صحيحٌ عنهم؛ وَ(هُمْ فِيهِ مَعْذُورُونَ: إِمَّا مُجْتَهِدُونَ مُصِيبُونَ، وَإِمَّا مُجْتَهِدُونَ مُخْطِئُونَ)؛ فَهُم بين الأجر والأجرَيْن.

ولا يعتقد أهل السُّنَّة والجماعة أَنَّ أحدًا (مِنَ الصَّحَابَةِ مَعْصُومٌ) من الذُّنوب؛ بل يجوز عليهم الوقوع فيها وتُوجد الذُّنوب منهم، لكن لهم مِن مُوجِبات المغفرة ما ليس لغيرهم.

وإذا صَدَر مِنْ (أَحَدِهِمْ ذَنْبٌ فَيَكُونُ قَدْ تَابَ مِنْهُ، أَوْ أَتَى بِحَسَنَاتٍ) ماحيةٍ، (أَوْ غُفِرَ لَهُ) بما له من (فَضْلِ سَابِقَةِ) الإسلام، (أَوْ بِشَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ الَّذِي هُمْ أَحَقُّ النَّاسِ بِشَفَاعَتِهِ).

وإذا (كَانَ هَذَا فِي الذُّنُوبِ المُحَقَّقَةِ؛ فَكَيْفَ الأُمُورُ الَّتِي كَانُوا فِيهَا مُجْتَهِدِينَ؟!).

ثُمَّ ذَكَر المُصنِّف أَنَّ (القَدْر الَّذِي يُنْكَرُ مِنْ فِعْلِ بَعْضِهِمْ) هو (قَلِيلٌ نَزْرٌ مَغْمورٌ فِي جَنْبِ) فضائلهم ومحاسنهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

وأَنَّ (مَنْ نَظَرَ فِي) أخبار الصَّحابة وسِيَرهم (عَلِمَ أَنَّهُمْ خَيْرُ) النَّاس (بَعْدَ الأَنْبِيَاءِ)، وأنَّه لم يأتِ بعد الأنبياء أحدٌ أفضلَ من أصحاب النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَمِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ: التَّصْدِيقُ بِكَرَامَاتِ الأَوْلِيَاءِ، وَمَا يُجْرِي اللهُ عَلَى أَيْدِيهِم مِنْ خَوَارِقِ العَادَاتِ، فِي أَنْوَاعِ العُلُومِ وَالمُكَاشَفَاتِ، وَأَنْوَاعِ القُدْرَةِ وَالتَّأْثِيرَاتِ؛ كَالمَأْثُورِ عَنْ سَالِفِ الأُمَمِ فِي سُورَةِ الكَهْفِ وَغَيْرِهَا، وَعَنْ صَدْرِ هَذِهِ الأُمَّةِ؛ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَسَائِرِ قُرُونِ الأُمَّةِ، وَهِيَ مَوْجُودَةٌ فِيهَا إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللهُ:

ذَكَرَ المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذه الجملة أَنَّ (**مِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ: التَّصْدِيقُ بِكَرَامَاتِ الأَوْلِيَاءِ**).

و(**الكرامات**): جَمْعُ (كَرَامةٍ)؛ وهي آيةٌ عظيمةٌ تَدُلُّ على صلاح العبد، ولا تقترِن بدعوى النُّبوَّة.

و(**الأولياء**): جَمْع (وَلِيٍّ).

و(**الوَلِيُّ**) له معنيان:

- **أحدهما**: معنى شرعِيٌّ؛ وهو كُلُّ مؤمنٍ تَقِيٍّ.

فَاسْم (الوَلِيِّ) إذا ذُكِرَ في خطاب الشَّرع فالمراد به هذا المعنى.

- **والآخر**: معنى اصطلاحِيٌّ؛ وهو كُلُّ مؤمنٍ تَقِيٍّ غير نَبِيٍّ.

والمعنى الاصطلاحيُّ هو المُراد في كلام علماء الاعتقاد؛ ومنه هذا الموضع.

فـ (**الأولياء**) **هنا**: هُم المؤمنون المُتَّقُوْن مِمَّنْ ليسوا بأنبياء.

و(**كرامات الأولياء**) **نوعان**:

- **أحدهما**: كرامةٌ تتعلَّق بـ(أَنْوَاعِ العُلُومِ وَالمُكَاشَفَاتِ).
- **والآخر**: كرامةٌ تتعلَّق بـ(أَنْوَاعِ القُدْرَةِ وَالتَّأْثِيرَاتِ).

وهُما مذكوران في كلام المُصَنِّف.

وأهل السُّنَّة يُثبتون للأولياء الكرامات، ويَنْفون ما يُذْكَر في ذلك من الخرافات.

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

ثُمَّ مِنْ طَرِيقِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ: اتِّبَاعُ آثَارِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَاطِنًا وَظَاهِرًا، وَاتِّبَاعُ سَبِيلِ السَّابِقِينَ الأَوَّلِينَ مِنَ المُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ، وَاتِّبَاعُ وَصِيَّةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَيْثُ قَالَ: «**عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ المَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي؛ تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ؛ فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**».

وَيَعْلَمُونَ أَنَّ أَصْدَقَ الكَلَامِ: كَلَامُ اللهِ، وَخَيْرَ الهَدْيِ: هَدْيُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فَيُؤْثِرُونَ كَلَامَ اللهِ عَلَى غَيْرِهِ مِنْ كَلَامِ أَصْنَافِ النَّاسِ، وَيُقَدِّمُونَ هَدْيَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى هَدْيِ كُلِّ أَحَدٍ.

وَلِهَذَا سُمُّوا (أَهْلَ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ).

وَسُمُّوا (أَهْلَ الجَمَاعَةِ)؛ لِأَنَّ الجَمَاعَةَ هِيَ الاجْتِمَاعُ، وَضِدُّهَا الفُرْقَةُ، وَإِنْ كَانَ لَفْظُ الجَمَاعَةِ قَدْ صَارَ اسْمًا لِنَفْسِ القَوْمِ المُجْتَمِعِينَ.

وَالإِجْمَاعُ هُوَ الأَصْلُ الثَّالِثُ الَّذِي يُعْتَمَدُ فِي العِلْمِ وَالدِّينِ.

وَهُمْ يَزِنُونَ بِهَذِهِ الأُصُولِ الثَّلَاثَةِ جَمِيعَ مَا عَلَيْهِ النَّاسُ؛ مِنْ أَقْوَالٍ وَأَعْمَالٍ بَاطِنَةٍ أَوْ ظَاهِرَةٍ؛ مِمَّا لَهُ تَعَلُّقٌ بِالدِّينِ.

وَالإِجْمَاعُ الَّذِي يَنْضَبِطُ هُوَ مَا كَانَ عَلَيْهِ السَّلَفُ الصَّالِحُ؛ إِذْ بَعْدَهُمْ كَثُرَ الاخْتِلَافُ، وَانْتَشَرَتِ الأُمَّةُ.

قَالَ الشَّارِحُ وفّقه اللهُ:

ذَكَرَ المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذه الجملة: طريق أهل السُّنَّة الكُلِّي في أَخْذ دينهم، وأَنَّ من طريقتهم: (اتِّبَاعُ آثَارِ رَسُولِ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَاطِنًا وَظَاهِرًا، وَاتِّبَاعُ سَبِيلِ السَّابِقِينَ)، (مِنَ المُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ، وَاتِّبَاعُ وَصِيَّةِ رَسُولِ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) في أَمْره بالتَّمَسُّك بسُنَّته وسُنَّة الخلفاء الرَّاشدين المَهديِّين بعده، ومُجانَبة مُحدَثات الأمور من البِدَع.

وأَنَّهم (يَعْلَمُونَ أَنَّ أَصْدَقَ الكَلَامِ: كَلَامُ الله، وَخَيْرَ الهَدْيِ: هَدْيُ مُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)؛ ولأجل هذا آثروا (كَلَامَ الله عَلَى غَيْرِهِ)، وقَدَّموا (هَدْيَ مُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى هَدْيِ) غيره؛ فَسُمُّوا (أَهْلَ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ) لأَخْذِهم بِهذين الأصلَيْن.

(وَسُمُّوا أَهْلَ الجَمَاعَةِ) لاجتماعهم؛ فإِنَّ (الجَمَاعَةَ هِيَ الاِجْتِمَاعُ، وَضِدُّهَا: الفُرْقَةُ).

ثُمَّ ذَكَر المصنِّف أَنَّ (الإِجمَاعَ هُوَ الأَصْلُ الثَّالِثُ الَّذِي يُعْتَمَدُ فِي العِلْمِ وَالدِّينِ).

وحقيقته شرعًا: اتِّفَاق مُجتهدِي عَصْرٍ من عُصور أُمَّة محمَّدٍ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد وفاته على حُكْمٍ شَرْعِيٍّ.

(وَهُمْ يَزِنُونَ) بالقرآن والسُّنَّة والإجماع (جَمِيعَ مَا عَلَيْهِ النَّاسُ مِنْ أَقْوَالٍ وَأَعْمَالٍ)؛ فلا يَزِنون الخَلْق بالصُّوَر والأموال، وإِنَّما يَزِنون أحوال الخَلْقِ بالكتاب والسُّنَّة والإجماع.

ثُمَّ ذَكَر المصنِّف أَنَّ (الإِجْمَاعَ الَّذِي يَنْضَبِطُ: هُوَ مَا كَانَ عَلَيْهِ السَّلَفُ الصَّالِحُ؛ إِذْ

بَعْدَهُمْ كَثُرَ الاخْتِلاَفُ، وَانْتَشَرَت الأُمَّة).

و(السَّلف الصالح) المُرادون هنا: هُم الصَّحابة والتَّابعون وأتباع التَّابعين.

ومُراد المصنِّف: صعوبةُ حكاية الإجماع بعدَهم، لا امتناعُ ذلك؛ فإِنَّ الإجماعَ واقعٌ بعدَهم، لكنَّ حكايتُه تَعْسُر؛ لكثرةِ الاختلافِ وانتشارِ الأُمَّة.

فالإجماعُ ليس مخصوصًا بوقوعِه فقط فِي تلك القُرون؛ بل يقع بعدَهم إجماعٌ، لكن تَصعُبُ حكايتُه لِمَا ذَكَرَ مِن كَثرة الاختلاف وانتشارِ الأُمَّة.

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

ثُمَّ هُمْ مَعَ هَذِهِ الأُصُولِ يَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ، وَيَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ؛ عَلَى مَا تُوجِبُهُ الشَّرِيعَةُ.

وَيَرَوْنَ إِقَامَةَ الحَجِّ وَالجِهَادِ، وَالجُمَعِ وَالأَعْيَادِ؛ مَعَ الأُمَرَاءِ أَبْرَارًا كَانُوا أَوْ فُجَّارًا، وَيُحَافِظُونَ عَلَى الجَمَاعَاتِ.

وَيَدِينُونَ بِالنَّصِيحَةِ لِلْأُمَّةِ.

وَيَعْتَقِدُونَ مَعْنَى قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**المُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالبُنْيَانِ، يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا**»، وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَثَلُ المُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ؛ كَمَثَلِ الجَسَدِ الوَاحِدِ: إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ؛ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الجَسَدِ بِالحُمَّى وَالسَّهَرِ**».

وَيَأْمُرُونَ بِالصَّبْرِ عِنْدَ البَلَاءِ، وَالشُّكْرِ عِنْدَ الرَّخَاءِ، وَالرِّضَا بِمُرِّ القَضَاءِ.

وَيَدْعُونَ إِلَى مَكَارِمِ الأَخْلَاقِ، وَمَحَاسِنِ الأَعْمَالِ، وَيَعْتَقِدُونَ مَعْنَى قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَكْمَلُ المُؤْمِنِينَ إِيمَانًا: أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا**».

وَيَنْدُبُونَ إِلَى أَنْ تَصِلَ مَنْ قَطَعَكَ، وَتُعْطِيَ مَنْ حَرَمَكَ، وَتَعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَكَ.

وَيَأْمُرُونَ بِبِرِّ الوَالِدَيْنِ، وَصِلَةِ الأَرْحَامِ، وَحُسْنِ الجِوَارِ، وَالإِحْسَانِ إِلَى اليَتَامَى وَالمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ، وَالرِّفْقِ بِالمَمْلُوكِ.

وَيَنْهَوْنَ عَنِ الفَخْرِ، وَالخُيَلَاءِ، وَالبَغْيِ، وَالاسْتِطَالَةِ عَلَى الخَلْقِ؛ بِحَقٍّ أَوْ بِغَيْرِ حَقٍّ.

وَيَأْمُرُونَ بِمَعَالِي الأَخْلَاقِ، وَيَنْهَوْنَ عَنْ سَفْسَافِهَا.

وَكُلُّ مَا يَقُولُونَهُ وَيَفْعَلُونَهُ مِنْ هَذَا أَوْ غَيْرِهِ؛ فَإِنَّمَا هُمْ فِيهِ مُتَّبِعُونَ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَطَرِيقَتُهُمْ هِيَ دِينُ الإِسْلَامِ الَّذِي بَعَثَ اللهُ بِهِ مُحَمَّدًا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لَكِنْ لَمَّا أَخْبَرَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ أُمَّتَهُ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، كُلُّهَا فِي النَّارِ؛ إِلَّا وَاحِدَةً، وَهِيَ الجَمَاعَةُ، وَفِي حَدِيثٍ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: «**هُمْ مَنْ كَانَ عَلَى مِثْلِ مَا أَنَا عَلَيْهِ اليَوْمَ وَأَصْحَابِي**»؛ صَارَ المُتَمَسِّكُونَ بِالإِسْلَامِ المَحْضِ الخَالِصِ عَنِ الشَّوْبِ هُمْ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ.

وَفِيهِمُ الصِّدِّيقُونَ، وَالشُّهَدَاءُ، وَالصَّالِحُونَ، وَمِنْهُمْ أَعْلَامُ الهُدَى، وَمَصَابِيحُ الدُّجَى، أُولُو المَنَاقِبِ المَأْثُورَةِ، وَالفَضَائِلِ المَذْكُورَةِ، وَفِيهِمُ الأَبْدَالُ، وَمِنْهُمُ الأَئِمَّةُ، الَّذِينَ أَجْمَعَ المُسْلِمُونَ عَلَى هِدَايَتِهِمْ وَدِرَايَتِهِمْ، وَهُمُ الطَّائِفَةُ المَنْصُورَةُ الَّتِي قَالَ فِيهِمُ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الحَقِّ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ، وَلَا مَنْ خَذَلَهُمْ؛ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ**».

فَنَسْأَلُ اللهَ العَظِيمَ أَنْ يَجْعَلَنَا مِنْهُمْ، وَأَلَّا يُزِيغَ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا، وَيَهَبَ لَنَا مِنْ لَدُنْهُ رَحْمَةً، إِنَّهُ هُوَ الوَهَّابُ، وَالحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَصَلَوَاتُهُ عَلَى خَيْرِ خَلْقِهِ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ

قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللهُ:

ذكر المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذه الجملة: أَنَّ من طريقة أهل السُّنَّة والجماعة

وأخلاقهم: الأمر بالمعروف، والنَّهي عن المنكر (عَلَى مَا تُوجِبُهُ الشَّرِيعَةُ)؛ أي بحسب الأمر الدِّيني، لا بحسب الرَّأي والهَوَى.

وأنَّهم يَرَون إقامة الشَّعائر الظَّاهرة؛ كـ(الحَجِّ وَالجِهَادِ وَالجُمَعِ وَالأَعْيَادِ مَعَ أُمرائهم؛ الأبرار منهم والفُجَّار؛ فيُشاركونَهم في الخير، ويُفارِقونَهم في الشَّرِّ.

ويحفظون الأُخُوَّة الإيمانيَّة والحَمِيَّة الإسلاميَّة للمؤمنين جميعًا، (وَيَدِينُونَ بِالنَّصِيحَةِ للأُمَّةِ).

(وَيَأْمُرُونَ بِالصَّبْرِ عِنْدَ البَلاءِ، وَالشُّكْرِ عِنْدَ الرَّخَاءِ، وَالرِّضَا بِمُرِّ القَضَاءِ، وَيَدْعُونَ إِلَى مَكَارِمِ الأَخْلاقِ، وَمَحَاسِنِ الأَعْمَالِ)؛ كصِلَة مَنْ قَطَعَكَ، وإعطاء المحروم، والعَفو عن الظَّالم.

(وَيَأْمُرُونَ بِبِرِّ الوَالِدَيْنِ، وَصِلَةِ الأَرْحَامِ، وَحُسْنِ الجِوَارِ، وَالإِحْسَانِ إِلَى اليَتَامَى وَالمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ، وَالرِّفْقِ بِالمَمْلُوكِ).

(وَيَنْهَوْنَ عَنِ الفَخْرِ، وَالخُيَلاءِ، وَالبَغْيِ، وَالاسْتِطَالَةِ عَلَى الخَلْقِ بِحَقٍّ أَوْ بِغَيْرِ حَقٍّ)، وغيرها من أخلاق السَّفَهِ والطَّيْش.

و(**الاستطالة على الخَلْق**) هي التَّرفُّع عليهم واحتقارُهم والوقيعةُ فيهم.

- فإنْ كان المُستطيل استطال بِحَقٍّ فقد افتخر.
- وإن استطال بغير حَقٍّ فقد بَغَى.

وكلاهما خُلُقٌ مُحَرَّم مذموم.

(وَيَأْمُرُونَ بِمَعَالِي الأَخْلاقِ، وَيَنْهَوْنَ عَنْ سَفْسَافِهَا)؛ أي رَديئها.

ولأهل السُّنَّة والجماعة من مَحاسن الأقوال والأعمال ما يَقْرِنُون به مَحاسن الاعتقادات.

ثُمَّ ذَكَر أنَّ أهل السُّنَّة والجماعة هُم فِي أقوالهم وأفعالهم - مِمَّا ذَكَره ومِمَّا لم يذكره - (مُتَّبِعُونَ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَطَرِيقَتُهُمْ هِيَ) (الإِسْلاَمَ الَّذِي) بُعِثَ (بِهِ مُحَمَّدٌ صَلَّآللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ).

وقد أخبر - صلواتُ الله وسلامه عليه - (أَنَّ أُمَّتَهُ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةٍ كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً، وَهِيَ الجَمَاعَةُ)؛ أي الباقية على الإسلام المَحْضِ الخالص من الشَّوْب، الَّذي كان عليه النَّبيُّ صَلَّآللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وكان عليه أصحابُه.

فمَنْ سار بسَيْرهم وَاقتدى بِهم فَهُو معهم في اسْم (السُّنَّة والجماعة).

ثُمَّ ذَكَر أَنَّ في أهل السُّنَّة والجماعة (الصِّدِّيقُونَ، وَالشُّهَدَاءِ، وَالصَّالِحُونَ، وَمِنْهُمُ أَعْلاَمُ الهُدَى، وَمَصَابِيحُ الدُّجَى، أُولو المَنَاقِبِ المَأْثُورَةِ، وَالفَضَائِلِ المَذْكُورَةِ، وَفِيهِمُ الأَبْدَالُ)؛ وَهُم القائمون بنُصرة الدِّين، يَخْلُف بعضهم بعضًا في ذلك.

وهذا المعنى هو المعنى المُوافق للحَقِّ في اسْم (الأبدال)، وقد ثبتت فيه آثارٌ عن عليٍّ وعن غيره.

ومُرادهم به: أَنَّ الله يُقيم في نُصرة دينه خَلْقًا؛ إذا مات أحدهم أَكْرم الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ غيره؛ فَهُم يُسَمَّون (أبدالًا) لذلك.

وفيهم (الأَئِمَّةُ الَّذِينَ أَجْمَعَ المُسْلِمُونَ عَلَى هِدَايَتِهِمْ وَدِرَايَتِهِمْ، وَهُمُ الطَّائِفَةُ المَنْصُورَةُ الَّتِي قَالَ فِيهِمُ النَّبِيُّ صَلَّآللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**لا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى**

الحَقِّ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ وَلَا مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ»). مُتَّفَقٌ عليه من حديث معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بنحوه.

ففي أهل السُّنَّة - بِحَمْد الله - كُلُّ فضيلةٍ، وَهُم بُرَآء من كُلِّ رَذيلةٍ، ودِينُهم وما هُم عليه باقٍ حَتَّى تقوم السَّاعة؛ فإِنَّ هذا هو خَبَرُ الصِّدق في القرآن والسُّنَّة؛ فإِنَّ الله قال: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِۦ﴾ [الزُّخرف:٢٨]؛ أي جَعَل كلمةَ التَّوحيد باقيةً في عَقِب إبراهيمَ حَتَّى تقوم السَّاعة.

وفي خَبر النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هنا في ذِكْر الطَّائفة من أُمَّته المنصورة الظَّاهرة إلى يومِ القيامة.

ومَهما كَثُر السُّوءُ والشَّرُّ والفساد فِي زمنٍ أو مكانٍ فإِنَّ الحقَّ يبقَى.

وفي «الصَّحيحين» - واللَّفظ لمسلم -: أَنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا نَزَلَ فِيكُمُ ابْنُ مَرْيَمَ، فَأَمَّكُمْ مِنْكُمْ**»؛ أي في آخر الزَّمان.

ومعنى قوله: «**أَمَّكُم مِنْكُمْ**»؛ أي حَكَمَ فيكم بالكتاب والسُّنَّة.

والكتاب والسُّنَّة لا يَصِل عِلْمهما إلى عيسى ابن مريمَ في آخر الزَّمان بِوَحْيٍ جديدٍ يُوحِيه الله إليه؛ فإِنَّ النُّبوَّة قدِ انتهت، وإِنَّما يَصِلان إلى عيسَى ابن مريمَ ومَنْ معه بِنَقْل العلمِ في طبقات هذه الأُمَّة وقرونِها حَتَّى تقوم السَّاعةُ.

فنسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أَنْ يُحيينا على الإسلام والسُّنَّة، وأَنْ يتوفَّانا على الإسلام والسُّنَّة، وأَنْ يحفظنا بالإسلام قائِمين، وأَنْ يحفظنا بالإسلام قاعِدين، وأَنْ يحفظَنا بالإسلام نائمين، وأَنْ يجعلنا مِن أنصار المِلَّةِ والدِّين.

وهذا آخر البيان على هذا الكتاب بما يناسب المقامَ[(١)].

تَمَّ شرح الكتاب فِي ثلاثة مجالسَ
ليلة الثُّلاثاء الخامس والعشرين من شهر ربيع الآَخر
سَنَةَ أربعين بَعْدَ الأَرْبَعِمِائَةِ وَالأَلْفِ
فِي المسجدِ النَّبويِّ بمدينة النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

(١) إلىٰ هنا تمام المجلس الثَّالثُ، وكان بعد العشاء ليلة الثُّلاثاء الخامس والعشرين من شهر ربيع الآخر، سنة أربعين بعد الأربعمائة والألف، ومدَّته: سبعٌ وأربعون دقيقةً.

فَوَائِد

فَوَائِد

فَوَائِد

فَوَائِد

فَوَائِد

فَوَائِد

فَوَائِد

فَوَائِد